٣٧
الأصالة (رسالة إسلامية منهجية جامعة) السنة السابعة ـ ١٥ / صفر / ١٤٢٣ هـ ـ عدد ٣٧

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

اقرأ في هذا العدد ...

- فاتحة القول : جريمة خذلان المسلمين في فلسطين !! ... التحرير
- نصيحة وبيان ... كلمةُ أصحابِ الفضيلة المشايخ :- القائمين على (المركز)
- الكلم الطيب ... الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
- كلمات في الدعوة والمنهاج ...

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي

- توجيهات إسلامية ... الشيخ سعد الحصين
- في السياسة الشرعية ...

أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

- الكتب تعريفاً ونقداً ...

الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي

- الآداب الإسلامية ...

الأستاذ الحارث بن زيدان المزيدي

- متابعات ... نشاطات المركز الدعوية والعلمية
- مسك الختام ... التحرير

«الأصالة»

أشعر أنها اسمٌ على مسمّى ـ إنْ شاء الله ـ

الشيخ العلامة / محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ

« مجموع فتاويه »

(رقم ٦٣١٨)

الناشر : مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٥٠٥٤٠٥٣ ـ ٦ ـ ٠٠٩٦٢

السنة السابعة - عدد(٣٧)
١٥/ صفر/ ١٤٢٣هـ

رسالة إسلامية منهجية جامعة

الأصالة

٣٧

عودة إلى الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً)
عن (مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية).
مدير المركز: الشيخ سليم بن عيد الهلالي.

أسرة التحرير:
الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر ..... رئيساً
الشيخ سليم بن عيد الهلالي ..... عضواً
الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري ..... عضواً
الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ..... عضواً

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين،
ونرغب في كل نقد هادف بناء

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع على الحق . .
- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

الاشتراكات
- المملكة العربية السعودية (٩٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٢٥ دولاراً).
- أوروبا (٣٠ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

ثمن النسخة
الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠ فلس)، أوروبا (٤ دولارات)، أمريكا (٥ دولارات).

عنوان المركز
الأردن - عمّان
ص.ب (٩٨) الرمز البريدي (١٣٧٨١).
تلفاكس: ٥٠٥٤٠٥٣ - ٦ - ٠٠٩٦٢
موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):
www.albani-center.com
البريد الإلكتروني : albani1421@hotmail.com
ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

تطلب (الأصالة) من:
الإمارات: جمعية دار البر - دبي
البحرين: مكتبة التوحيد
الجزائر: مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع
08 شارع السيدة الإفريقية - باب الوادي - الجزائر
هاتف: ٢١٩٦٧٧٠٠ (٠)٢١٣ فاكس: ٢١٩٦٦١٠٠ (٠)٢١٣
البريد الإلكتروني: madjaliss@hotmail.com

بريطانيا وإيرلندا:
Call to Islam Education Centre
116 Bury Park Road
Luton Beds
England. UK
Tel: 01582 724 647
FAX: 01582 724 654
E-Mail: calltoislaam@hotmail.com
Web site: www.calltoislam.com

الولايات المتحدة:
AL-QURAN WAS-SUNNAH SOCIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893 - 3768
Fax: (313) 893 - 3748

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (١٣٢٨/٣/٤)

خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنستَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

محتويات العدد

. **فاتحة القول:** جريمة خذلان المسلمين في فلسطين!!

التحرير ٥

. **تأملات قرآنية:** ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ..﴾

الشيخ أبو الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري..... ٨

. **الكلم الطيب:** الروضة النَّديَّة في تحقيق العبوديَّة؟!

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ١١

. **توجيهات إسلامية:** لا يقال فلان شهيد

الشيخ سعد الحصين ١٦

. **كلمات في الدعوة والمنهاج:** مدى خطورة أهل الأهواء والبدع

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي ١٩

. **الكتب تعريفاً ونقداً:** مآخذ منهجية على د. سفر الحوالي (٤)

الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي ٢٧

. **الأخلاق الإسلامية:** الوفاء بالعهد والوعد (٣)

الأستاذ محمود سلامة المهر ٣٦

. **في السياسة الشرعية:** العمليات الفدائية: أهي انتحارية؟! أم استشهادية؟! (٢)

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٤١

. **الآداب الإسلامية:** آداب الطعام في الشريعة المطهرة

الأستاذ الحارث بن زيدان المزيدي ٤٨

. **قضايا فقهية:** الأحكام التي تتميز بها المرأة عن الرجل (٤)

الشيخ خير الدين وانلي ٥٥

. **نصيحة وبيان:** كلمةُ أصحابِ الفضيلةِ المشايخ: -القائمين على «مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجيّة، والأبحاث العلميّة»- في واقعةِ الشيخ أبي الحسن المأربي، ومُخالفيه، وما أُخِذ عليه

..... ٦١

. **الطب النبوي:** قواعد في الطب النبوي (٧)
الشيخ د. أبو أنس محمد بن موسى آل نصر..... ٧٣
. **متابعات:** نشاطات مركز الإمام الألباني الدعوية والعلمية
..... ٧٩
. **مسك الختام:** مَا هكذا يا سَعْدُ تُوْرَدُ الإبل
التحرير ٨٠

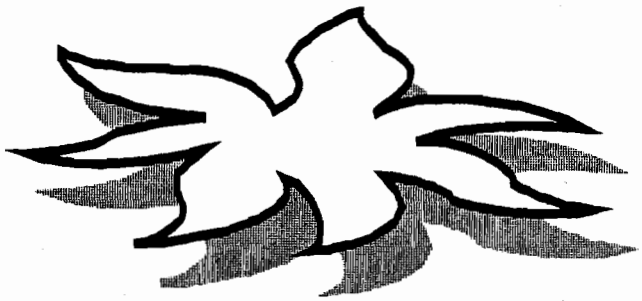

جريمة خِذلان (المسلمين) في (فلسطين)!!

• بقلم: أسرة التحرير

قال -تعالى-: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:٧٥]

قال القرطبي: «أوجب الله الجهاد لإعلاء كلمته، وإظهار دينه، واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس.

وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين؛ إما بالقتال وإما بالأموال، وذلك أوجب لكونها دون النفوس؛ إذ هي أصون منها، وقال الإمام مالك: يجب على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم وهذا لا خلاف فيه»[1].

نقول: فإن كان هذا موقف علماء الإسلام دون خلاف في الأسير؛ فكيف حال القتيل، والمعذب، والمشرد، والمنتَهَك العرض، والمغصوب الأرض؛ كما هو حال إخواننا المسلمين من شعب فلسطين؟!

كيف لو أبصر علماؤنا وأئمتنا ما فعله يهود في (الخليل) و(جنين)، ومن قبل (قانا) و (دير ياسين)، وغيرها من مذابح ومجازر بشعة، تقشعر لها

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٢٧٩).

الأبـدان، وتشـيب مـنها الولـدان؟! وللأسـف الشـديد كـثير مِـن المسـلمين ينظرون وكأن الأمر لا يعنيهم.

. . . أيـن الأخوة الإيمانية التي شبهها الرسـول ﷺ بالجسد الواحد «إذا اشتكى منه عضـو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»؟!

إن الحـال الـذي بلغته أمتنا -اليوم- لا تُرضي صديقاً، ولا تغيظ عدواً . . .

لقـد فَـرَّقَها أعداؤُهـا، وألقَـوا بيـنها العـداوة والبغضـاء، ولسان حالها يقول: (أُكلتُ يومَ أُكل الثور الأبيض).

كـلُّ دول العـالم تعمـل عـلى الاتحـاد بيـنها كافـة: عسـكرياً، واقتصـادياً، وسياسـياً، وإعلاميـاً، عَـلَمٌ واحد، وعُملة واحـدة، وسوق مشتركة واحدة، وتأشيرة واحـدة تطـوف بهـا جميـع بـلدانها؛ إلا المسـلمون فهـم متشـرذمون مـتفرقون مـتعادون عـلى رغـم أن ربهـم واحـد، وكـتابهم واحـد، ونبيهم واحد، وقبلتهم واحـدة، وهدفهـم واحـد، ومصـيرهم واحـد، وعدوهم واحد؛ فعلام التَّفرُّق يا أمة الإسلام؟!

وعلام خذلان إخوانكم الذين يُقتلون شَـرَّ قِتْـلة مـن إخـوان القـردة والخنازير، وأنـتم تعـلمون أن صـراعنا مـع اليهـود صـراع عقيـدة ووجـود، وليـس صـراع أرض وحـدود -وإن صـوّره الإعـلام الغـربي ومـن يـدور في فـلكه كذلـك-، وأنـتم تعـلمون أن أطمـاع يهود لا تقف عـند إذلال شـعب فلسـطين وقـتله وتشـريده، وسـلب أرضه، وإنما أطماعهم في الأمـة الإسـلامية كـلّها أن يـلحقوهم بشـعب فلسـطين، وأن يسـقوهم مـن الكأس نفسه.

ولله درُّ القائل:

سيلحقون فلسطين بأندلس
ويعطفون عليها البيت والحرما

فمـاذا أنـتم قائـلون؟! وإلى مـتى تنظرون!!

ولا تملكون إلا الاستكار، والشجب، والعويل!!

ويهـود أهـل غـدر وخيانـة، ونقـض لـلمواثيق، لا يـنفع معهـم إلا الجهـاد والاستشـهاد، والإعـداد المادي والمعنوي، وتوحيـد الـراية تحـت رايـة الـتوحيد، والاهـتداء بسـيرة السـلف الصـالحين،

وجهادهم وعبادتهم وأخلاقهم، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

بالمدفع استشهدي إن كنت ناطقة

أو رُمت أن تُسمعي من يشتكي الصَّمما

ولكم الله يا مسلمي فلسطين، فلئن خذلكم إخوانكم؛ فإن الله ناصركم، شريطةَ أن تأخذوا بأسباب النصر والتمكين، وتلقوا كلَّ الشعارات الجاهلية، والدعوات الأرضية من علمانية، وقوميّة، وبعثيّة، ورافضية، وصوفية، وحزبية، في عودة جادة إلى الله وإلى منهج الله، وجهاد صادق لإعلاء كلمة الله.

والله ولي المتقين.

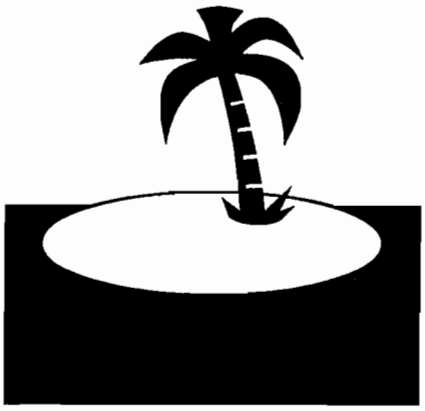

قال ابن قيّم الجوزيّة -رحمه الله-.

«وأما التَّوكل في نُصرة دين الله، وإعلاء كلمتِه، وإظهار سنَّة رسولِه، وجهاد أعدائِه: فليس فيه علَّة؛ بل هو مُزيل للعلل».

[«مدارج السالكين» (٣/ ٤٨٠)]

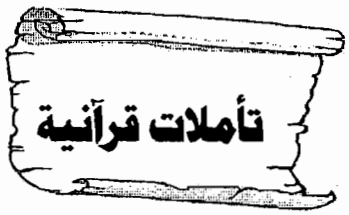

﴿ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ .. ﴾

• بقلم: الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثريّ

ذكر الإمامُ ابنُ القيِّم في كتابه العُجاب «مِفتاح دار السعادة» -في هذه الآية- معانيَ رائعةً، واستنباطاتٍ فائقة؛ تحْسُنُ مراجعتها، وإدامة النَّظر فيها.

﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ المذكورون في الآيةِ الكريمة: هم أهل العلمِ والعدل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾؛ لما في أعناقهم من أمانة العلم، وحقيقة العدلِ.

وإنّنا لا نزالُ -والحمد لله ربِّ العالَمين- منذ سنواتٍ تنوف العشرين- نتلقّى عن مشايخنا الصادقين، وكُبرائِنا الواثقين؛ حبَّ العلمِ، وتوقيرَ أهلِهِ، وتبجيلَ حملتهِ . . .

حتى كاد منّا -ولله المنّة- قولٌ يتكرّر، وقاعدةٌ تتقرّر؛ ملأْنا بها أسماعَ الناسِ، ونَثَرناها في صفحات كلِّ قِرْطاس؛ وهي قولُنا -بتوفيق ربِّنا-: المسائل الكبار ليس لها إلا العلماءُ الكبار . . .

وإذ نُؤكِّدُ هذه القاعدةَ، ونُثبِّتُها، ونُرسِّخها؛ فإنه لا يخفى علينا -والحمدُ للهِ- التفريقُ الدَّقيق بين (التقدير)، و(التَّقديس):

فإنَّ (تقديرنا) لعُلمائنا ومشايخنا واجبٌ حَتْمٌ، وفرضٌ لازمٌ؛ لا انفكاك لنا منه، ولا بُعْدَ لنا عنه . . .

وهذا التقدير مبعثُه ودوافعُه: المنهج العلميُّ المنضبطُ، الجامع بين العلمِ والحلمِ، والحُجَّة والبُرهان .

وأمّا (التقديسُ): فلا يكونُ إلا لِنُصوص الكمال والعصمةِ؛ من كتابِ الله -تعالى-، وسُنّة رسولنا ﷺ؛ فهما

الأصلان العظيمان، اللذان لا خللَ فيهما، ولا انتقاصَ يعتريهما.

فـ(تقديرُ) العلماءِ قائمٌ على هَيْبَةِ العلمِ وعِظَمِ قَدْرِهِ، و(تقديس) الحقِّ مبنيٌّ على كبيرِ أثرِهِ، وجلالةِ مصدرِهِ.

فَخَلْطُ الأوراق، واضطرابُ الأولويّات يُفسِد القضيّة، ويُعْظِم البليّة.

وعليه؛ فإنَّ الواجبَ «على كلِّ مسلمٍ موحِّدٍ: النهوضُ بالحقوقِ الشرعيةِ عليه، للعلماء العاملين:

مِن توقيرِهم، وتبجيلهم، وإعطائهم قدرَهم، والكفِّ عن أعراضهم، والوقيعة فيهم، والبُعْدِ عن إثارة التشكيكِ في نياتِهم، ونزاهتِهم، والتَّعسف في حمل تصرفاتهم بالفتيا والقول على محامل السوء، وتَصَيُّدِ المعايب عليهم، وإلصاق التُّهم بهم، والحَطِّ من أقدارهم، والتَّزهيدِ فيهم؛ فإن هذا من أعظمِ وسائلِ الهدمِ، ومواطنِ الإثمِ، وتَفْتِيتِ الأُمة، وإضعاف القيادة العِلميّة.

وما هذه إلا وَخَزاتُ مُرْجِف، وَطُعُونُ مُتَسرِّع، وهي مواقفُ يتشفّى بها مَن في قلبه عِلَّة، وفي دينه رَهَقٌ وَذِلَّة -مِن أهل البدع والأهواء، وغيرهم-؛ فلا تكونَنَّ ظهيراً للمجرمين، تخذلُ علماء السُّنَّة، وتكونُ -بفعلتك هذه- تذودُ الناسَ عنهم، وعن دُروسهم، وحِلَقِهم، ومآثرِهم، وَتُسْلِمُهُمْ غنيمةً باردةً إلى علماء السوء والبدعة، أو جَعْلِهم همَلاً تتصيَّدُهُم الفِرق، والأحزاب»[1].

وهذا الأثر -السلبيُّ- عينُ ما نُحِسُّ به ونراه، ونلمسُهُ، ونُعايشُهُ.

وَقَلَّ أنْ تَجدَ مِن أولاءِ الأحزاب -أو مُناصريهم- مَن يعظِّمُ العُلماءَ لحقِّهم، أو ينشُرُ علومَهم لصوابها، أو يدُلُّ عليهم صيانةً للسنةِ ورفعاً للِوائها . . .

فإنْ فعلوا ذلك -أو بعضَه!-:

. . . فاستغلالاً لمواقف . .

. . . أو استثماراً لعواطف . .

أو انتصاراً على مُخالف . . .

وإلا:

فأين هي فتاوى العُلماء الربّانيِّين في الرّدِّ على الحزبيّين، والمُهيِّجين، والغوغائيِّين؟!

وما هي مواقفُ (هؤلاء) منها؟!

وما هي مسالكُهم تُجاهَها؟!

لا تجدُ فتاوى هؤلاء الكِبار -الكُبَّار- من هؤلاء الصِّغار -ذوي الصَّغار- إلا الكَبْتَ، والتَّخْبِئَةَ، والكَتْمَ والاندثار!!

---

(١) «الرّد على المخالف» (ص٨٨) لفضيلة الشيخ بكر أبو زيد -سدَّده الله، وعافاه-..

وهذه هي (العُقدة) الأساس: التي يسيرُ من خلالها -ويُسَيِّرها- هؤلاء الناس!

مسلكٌ انتقائيٌّ صِرفٌ؛ ليس الحقُّ باعثَه، ولا الهُدى رائدَه . . .

وإنّما هوىً يهوي بصاحبِهِ إلى حُفرة التَّحزُّب والتَّعصُّب؛ إلتفافاً على العُلماء، وتمريراً لِما يرمون إليه -لتحزُّبهم!- مِن مهالك الأهواء . . .

«فيا لله كيف تُجعلُ الشرائعُ ذرائع للانتقام، وتقام ضرائرَ من الباطل والآثام؛ لكنها سنة ماضية لمن يحمل عقلاً عبداً لهواه! ويُؤثَرُ عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قوله: «إنَّ للخصومات قحَماً، وإن الشيطان يحضرها».

والقحم: الأُمور العظام، فكيف إذا كانت الخصومة في غير حق؟».[1]

ولهؤلاء (الشبابِ) واجبٌ في أعناق (الشيوخ): قال فضيلةُ الشيخ بكر أبو زيد -سدّده الله- في رسالتِه «الردّ على المخالف» (٨٨):

«ومع هذا الواجب الشبابي من احترام العلماء، والالتفاف حولهم، فواجب على العلماء العاملين: احتضان الشباب، واحتواؤهم، والرَّبط على قلوبهم بوشائج العلم والإيمان، وبهذا يُكوِّنون «رابطةً علْميَّةً شبابيَّة»، تجد فيها «العالم القُدوَة»، و«القيادة العلمية» للأمة، ومصانع لرجال المستقبل، بها يَظْهرون.

ومِن واجب العلماء نحو الشباب: حسن التّعامل معهم، بدقة، وحكمة، وروية: بتوجيههم، والجلوس لهم، بالدَّرس والتلقين، والأخذ عنهم، والتلقي منهم، والكتابة، والتأليف، والفتيا، كلٌّ بما وَسِعَه حتى يحتوي العلماءُ تَوَجُّهاتِ الشباب: العقدية، والسلوكية، سليمة من الانحراف في الفكر، والسلوك».

فهل يتمُّ هذا التَّكاملُ تديُّناً وصدقاً وإنصافاً؟!

هل تَتمُّ هذه المُواءَمة حقّاً، وأمانةً، وولاءً؟!

. . . هذا ما أرجو -ويرجو كلُّ مُخلصٍ- حتى يظلَّ (العلمُ) في عليائِهِ، ويستمرَّ (القِسْط) في جلالِهِ وبهائِهِ . . .

---

(١) «الردود» (ص٣٤١) للشيخ بكر أبو زيد -سدده الله، وعافاه-.

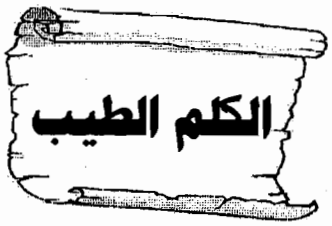

الروضة النَّديَّة في تحقيق العبوديَّة؟!

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

عن ربيعة بن كعب الأسلمي -رضي الله عنه- قال: كُنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ، فآتيه بوَضُوئه وحاجته، فقال: «سلني».

فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.

فقال: «أَوْ غَيرَ ذلك؟».

قلت: هو ذاك.

قال: «فأعنّي على نفسك بكثرة السُّجود»[1].

إن العبوديَّة غاية العباد التي خلقوا لها، فما هي الوسيلة إليها؟!

١- طلب العون مِنَ الله:

إذا كانت العبودية لله غايةَ العبدِ ونهايةَ مُرادِهِ: تَوجَّه إلى اللهِ أن يُعينَه عليها، ويُوَفِّقَهُ للقيامِ بحقِّها، ولهذا كان مِن أفضل ما يُسْأَلُ اللهُ -عز وجل-: الإعانةُ على مرضاته، ولذلك علَّم النَّبي ﷺ حِبَّهُ معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، فقال: «يا معاذ! والله إنِّي لأُحبُّكَ، فلا تنسَ أن تقولَ في دُبر كلِّ صلاة: اللهمَّ أعنِّي على ذِكرِكَ، وشُكرِكَ، وحُسنِ عبادَتِكَ»[2].

واعلم أيُّها العبدُ! أنَّك إذا التزمت عُبوديته، ودخلتَ تحتَها؛ أعانك عليها، فكان دُخُولكَ فيها سَبَباً لنيلِ الإعانةِ عليها، وكلَّما كان العبدُ أتَمَّ عُبوديةً كانت الإعانةُ من اللهِ له أعظم.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) صحيح؛ كما بينته في «صحيح كتاب الأذكار وضعيفه» (٨٩١/ ٦٧٥).

والعبودية محفوفةٌ بإعانتين:

إعانة قبلها على التزامها والقيام بها، وإعانة بعدَها على الثّبات عليها والقيامِ بعبودية غيرها؟

وهكذا أبداً ما دُمت لله عبداً.

ومَن تدبر هذا المقام وجدَه أنفع الدّعاء؛ بل إنَّ مدار الدّعاء المأثور عليه، وهو مُراد الله في أم الكتاب. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٢- الاصطبَارُ على العُبوديّة:

يا قَوم! مَن كانت غايتُهُ لله كانت همَّته عاليةً؛ فهو يَحشُدُ همَّه، ويُعبّئ طاقاته، ويُجرِّدُ نفسَه؛ ليَرتقي إلى مقامِ المُثول بين يَدَي معبودِه بحقٍّ، الّذي يُحبُّه ويخضَعُ له، ويُعالجُ عَثَرَات الطّريق؛ ليثبُت في هذا المُرتقى العالي . . .

إنَّها مشقَّةٌ: مشقَّة التَّجمُّع والحَشدِ والتَّجرُّد من كلِّ شاغلٍ . . .

وإنَّها للذَّة لا يعرِفها إلا مَن ذاق طَعمَها ووجد حلاوتها . . . ولكن لا تُنالُ إلا بمشقّة . . . فإذا تجاوزَت تِلكَ المشقَّة منحتك؛ عطرها، فتنسّمت عَرْفها، وكنت من أهلها وممن عرفَها حقَّ المعرفة.

قال الله -تعالى-: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾. [مريم: ٦٥]

وقال -تعالى-: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾. [طه: ١٣٢]

والعبودية في الإسلام تَستظِمُ كُلَّ نشاط، وكلّ حركة، وكلَّ خلجةٍ، وكلَّ نيَّة، وكلَّ اتّجاه . . .

وإنَّها لمشقَّة أن يتَّجه العبدُ في هذا كلّه إلى الله وحدهُ دون غيره . . .

مَشقَّة تحتاج إلى اصطبار . . .

وطريقٌ يحتاج إلى مُجَاهدةٍ، ليَخلُص القلبُ مِن أوشاب الهوى، ونزغات الشيطان وشرور النَّفس . . .

ولكن مَن زرع الإخلاص حصدَ النَّجاة، ومن بذر الاتباع جَنى السَّداد في القول والعملِ، ومَن حَفظَ اللهَ حفِظهُ اللهُ؛ ووجَده تُجاهه.

قال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾. [العنكبوت:٦٩]

وإلى هذا المقام يُشيرُ الرَّسول -عليه الصَّلاة والسَّلام-:

«حُجبت النّار بالشَّهواتِ، وحُجبت الجنّة بالمكارهِ»[1].

فالجنَّةُ محجوبةٌ بالمكارهِ محفوفةٌ بها؛ والمكاره: ما أُمر المُكلَّف بمجاهدة نفسه فيه فِعلاً وتركاً، كالإتيان بالعبادات على وجهها، واجتناب المنهيَّاتِ قولاً وفعلاً، وأُطلق عليها المكاره لمشقَّتها على العامل، وصُعوبتها عليه، ولكن عاقِبَتَها أحلى من العسل، ولله دَرُّ القائل:

لا تحسبنَّ المجد تمراً أنتَ آكلُهُ
لن تبلغ المَجد حتى تَلْعَقَ الصَّبرَا

وصدق القائل:

والصَّبرُ مِثلُ اسمِه مُرٌّ مَذَاقَتُه
لَكنْ عواقِبُهُ أحلى مِنَ العَسَلِ

٣- مُراقبة الله:

وهذا مَقَام الإحسان؛ وإليه أشارَ رسول الله ﷺ في حديث جبريل -الطَّويل- عندما سأله عن الإحسان؟ قال: «أن تعبُد اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك»[2].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-:

«يُشير إلى أنَّ العبدَ يَعبُدُ الله -تعالى- على هذه الصِّفة، هو استحضار قُربه، وأنَّه بين يديه كأنَّه يراه، وذلك يوجِب الخشية والخوفَ والهيبة والتَّعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة: «أن تخشى الله كأنَّك تراه».

ويجب -أيضاً- النُّصح في العبادة، وبذل الجُهد في تحسينها وإتمائها وإكمالها.

وقوله ﷺ: «فإنْ لم تكن تراه؛ فإنَّه يراك»؛ قيل: إنَّه تعليل للأوَّل، فإن العبد إذا أُمر بمراقبة اللهِ -تعالى- في العبادة واستحضار قربه من عبده -حتى كأنّ العبد يراه-؛ فإنه قد يشقُّ ذلك عليه، فيستعين على ذلك بإيمانه بأنَّ الله يراه

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٣٢٠ - فتح)، ومسلم (٢٨٢٣) من حديث أبي هريرة. وأخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس بلفظ: «حُفَّت . . .» الحديث.

(٢) رواه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب، واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة -بنحوه-.

ويطَّلع على سِرِّه وعلانيته، وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره، فإذا تحقَّقَ هذا المقامُ؛ سهل عليه الانتقالُ إلى المقام الثاني، وهو: دوام التَّحقيق بالبصيرة إلى قُرب الله من عبده ومعيّته، حتى كأنّه يراه»[1] اهـ.

قال ابن قيِّم الجوزيَّة -رحمه الله-:

«فصاحبُ هذا المقام:

كأنّه يرى ربَّه -سبحانه- فوق سماواته على عرشه، مُطّلعاً على عباده، ناظراً إليهم، يسمع كلامَهُم، ويرى ظواهرهم وبواطنهم.

وكأنّه يسمعه وهو يتكلَّم بالوحي، ويُكلِّم به عبده جبريل، ويأمره وينهاه بما يُريد، ويدبِّر أمر المملكة، وأملاكه صاعدةٌ إليه بالأمر، نازلةٌ مِن عنده به.

وكأنّه يُشاهدُه وهو يَرضى ويغضب، ويحبُّ ويبغض، ويُعطي ويمنع، ويضحك ويفرح، ويُثني على أوليائهِ بين ملائكته، ويذُمُّ أعداءَه.

وكأنّه يُشاهدُه ويشاهد يَدَيه الكريمتين، وقد قبضت إحداهما السَّماوات السَّبع، والأخرى الأرضين السَّبع، وقد طوى السَّماوات السَّبع بيمينه، كما يُطوى السِّجل على أسطر الكتاب.

وكأنّه يُشاهده وقد جاء لفصل القَضَاء بين عباده، فأشرقت الأرض بنُوره، ونادى -وهو مستوٍ على عرشه- بصوت يسمعه مَن بَعُدَ كما يسمعه مَن قرب: «وعزَّتي وجلالي لا يُجاوزني اليوم ظلم ظالم».

وكأنّه يسمع نِداءَه لآدم: «يا آدم قم فابعث بعث النَّار»، بإذنه الآن، وكذلك نداءَهُ لأهل الموقف: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] وماذا كنتم تعبدون؟

وبالجملة؛ فيشاهد بقلبه ربّاً عرّفتْ به الرُّسل، كما عرّفت به الكتب، ودِيناً دعت إليه الرُّسُلُ، وحقائق أخبرت بها الرُّسل، فقام شاهدُ ذلك بقلبه، كما قام شاهد ما أخبر به أهل التَّواتر- وإن لم يره- من البلاد والوقائع، فهذا إيمانُه يجري مجرى العيان، وإيمانُ غيره فمحضُ تقليد العُميان»[2].

---

(١) «إيقاظ الهمم المُنتقى مِن جامع العلوم والحكم» (ص٧١-٧٢ - بقلمي).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ١٥٣-١٥٤).

وقد انتظم مفرداتِ تحقيق العبودية توجيهُ رسول الله ﷺ لربيعة بن كعب الأسلميِّ -خادمه- وهو مِن أهل الصُّفَّة.

وبيانُ ذلك:

أ) أنّ رسول الله ﷺ أمره أن يُعينه على نفسه، ومَن أعان نفسه على نفسه لا شكَّ أنَّ أوَّل ما يطلب الإعانة مِنَ الله على نفسه؛ فمن الدُّعاء المأثور: «ولا تكلني إلى نفسي طرفة عَين»[1].

فالعبدُ بحاجةٍ إلى عونِ الله على نفسه التي بين جنبيه.

ولله در القائلِ:

إذا لَمْ يَكنْ عونٌ منَ اللهِ للفتى

فأوَّلُ ما يَجْنِي عليه اجتهادُهُ

ب) قوله: «على نفسك» فيه بيان أنَّها مُتخلِّفة بطبعها عن السَّعي إلى المعالي، فلذلك فهي بحاجةٍ إلى مُجاهدةٍ واصطبارٍ على العبادة؛ كي لا تتخلَّف عن قافلة العابدين.

ت) قوله: «بكثرة السُّجود»، فمن كثَّر سُجوده حصلت له مرتبة القرب المُشار إليه بقول الله -تعالى-: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾. [العلق:١٩]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبدُ مِن ربِّه وهو ساجد؛ فأكثروا الدُّعاء»[2].

وعن عبدالله بن عبَّاس -رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال: «فأمَّا الرُّكوع فعظِّموا فيه الرَّبَّ، وأمَّا السُّجود فاجتهدوا في الدُّعاء، فَقَمِنٌ[3] أن يُستجاب لكم»[4].

فالسُّجود من مواطن إجابة الدُّعاء[5]؛ فدلَّه رسول الله ﷺ على مواطن الإجابة، وأمره أن يُدمن قرع الباب، وعلَّمه كيف يقرع الباب، فمن كانت هذه صفتُه؛ أوشك أن يُفتح له، والله المستعان.

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٨١/ ٥٧٠)، ولابن السني -أيضاً- (رقم٤٩) بإسنادٍ حسن، كما بينته في «عجالة الراغب المتمني».

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٣) أي: جدير وحقيق.

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٥) وانظر -لزاماً- كتابي: «النُّبذ المستطابة في الدَّعوات المستجابة» (ص٥٦).

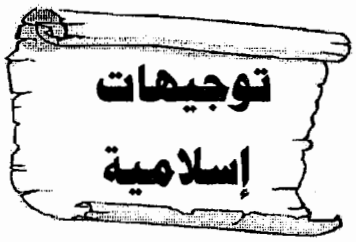

لا يقـــال فـــلان شـــهيد

● بقلم: فضيلة الشيخ سعد الحصين

بيّـن لـنا رسول الله ﷺ مما أُحيّ إليه مـن ربـه: أن الله يقـبض العلم -في آخر الـزّمان- بقـبض العـلماء «حـتى إذا لم يـترك عالمـاً اتّخذ الناس رؤوساً جهالاً، فأفـتوا بغـير عـلم، فضـلّوا وأضـلوا». [متفق عليه]

وقـد وصـل المسـلمون -بعد القرون المفضّـلة- إلى حـال قريـبة من هذا المآل المظـلم مـنذ ظهـور دولـة القـرامطة، ثم الفـاطميين، ثـمَّ العـثمانيين؛ ولكـنّ الله «يـبعث لهـذه الأمـة عـلى رأس كلّ مئة سـنة مـن يجـدّد لهـا ديـنها» بـالعودة إلى أصله، فضلاً منه وإحساناً.

وفي هـذا العصـر احتل بعض طلاب العلم والفكر -ممن لا يملكون من العلم أكـثر من شهرتهم بين العَوام وأشباههم بحفـظ الشّـعر، وغـرائب الـروايات، والأخـبار، والأمـثال، ولحـن القـول - مجـلس العـالم بشـرع الله، والدّاعي على سـبيله عـلى بصـيرة مـن كـتابه وسـنة رسوله وفقه أئمة الدِّين.

وقـبل أيام قدّمت لنا جريدة «الحياة» في عددهـا (١٤٢٦٨) بـتاريخ (٣٠/ ١/ ١٤٢٣هـ) نوعـاً جديـداً مـن الـرءوس المنتحـلة لمجـالس العـلم والفـتوى لم ينـتظروا اتخـاذ الـناس إياهم رؤوساً ولا سـؤالهم، فأفـتوا بغـير علم؛ بل ونقضوا فتوى كبار العلماء إذ لم توافق أهواءهم.

قـال شاعر بعنوان (الشّهداء) يخاطب من يقوم بالعمليات القتالية (الفدائية):

(يشهد الله أنكم شهداء. يشهد الأنبياء والأولياء).

والله يعلم أنّ هذا افتراء عليه وعلى أنبيائه وهم خير أوليائه.

ويخاطب كبار العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-: (قل لمن دبّجوا الفتاوى رويداً، ربَّ فتوى تضجّ منها السّماء).

دون أن يأتي بكتاب، ولا أثارة مِن علم ينقض ما جاءوا به من محكم الكتاب، وصحيح السُّنَّة، وفقه أئمة القرون المفضّلة في نصوصهما؛ بل دعا بدعوى الجاهلية: ارفعوا أقلام العلم الشرعي، واطووا صحفه، وكمُّوا أفواه المستفتين والمفتين والفقهاء، ودعوا الحكم للهوى وحده:

(حين يدعوا الجهاد يصمت حبر
ويراع والكتب والفقهاء
حين يدعوا الجهاد لا استفتاء
الفتاوى يوم الجهاد الدماء)

والعلم بشرع الله يحمله من كلّ خلف عُدُولُه، وليس منهم شعراء الظنون والعواطف؛ فقد قال الله -تعالى-: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٤-٢٢٦]، ومِن الواضح أن الشعراء يتّبعون الغاوين -أيضاً-، فهُم في الغواية يعمهون؛ فلا يَصلحون مفتين، ولا ناقدين لفتاوى العلما، شرعاً ولا عقلاً.

وهذا الشاعر نفسه -هدانا الله وإياه- حكم على من وصفهم بالعلماء في «صوت الكويت» (١٠/ ٥/ ١٤١٠): «أن يبقوا في مجالات تخصّصهم، وألا يزجّوا بأنفسهم في بحار السّياسة حتى لا يَفْرقوا ويُفرقوا شبابنا الحائر معهم»، فما له لا يقبل فتواه لغيره؛ فيبقى في تخصّصه، مع أنّ السياسة تقوم على الظنّ، فلكلٍ أن يرى فيها رأيه، وإذا كان من العِلم بالسياسة تشجيع التّفجير الذي لا يميّز بين صغير وكبير، ولا بين بريء ومذنب، فلن يكون الجهل بها أسوأ.

أمّا شرع الله، فنجد اليقين عنه في كتاب الله -تعالى-: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ

قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، وفي صحيح البخاري: (باب ٧٧ من كتاب الجهاد ٥٦: لا يقال فلان شهيد)، وحديث: «الله أعلم بمن يُجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله»، وحديث: الرجل من أصحاب النبي ﷺ وفي عسكره لا يترك للمشركين شاذّة ولا فاذّة إلا اتّبعها يضربها بسيفه، حتى قال بعض الصّحابة: ما أجزأ منّا اليوم أحد كما جزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنّه من أهل النّار»؛ لأنه قتل نفسه.

وفي صحيح مسلم: ذكر غلام النبي ﷺ الذي قُتل يوم خيبر، فقال بعض الصّحابة: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله، فقال: «كلا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتكون كلمة الله هي العليا، فكيف بالقتال للأرض والهوية والحزبيّة؟!

والله الموفق.

❖«وأكثر آفات النّاس مِن الألفاظ، ولا سيَّما في هذه المواضع التي يعزُّ فيها تَصور الحقّ على ما هو عليه، والتّعبير المطابق، فيتولّد مِن ضعف التّصور، وقصور التّعبير نوع تخبيط، ويتزايد على ألسنة السامعين له وقلوبهم بحسب قصورهم وبعدهم من العلم؛ فتفاقم الخَطْبُ، وعظُم الأمر، والتبس طريق أولياء الله الصادقين بطرائق الزنادقة الملحدين، وعزَّ المفْرَق بينهما، فدخل على الدِّين مِن الفساد مِن ذلك مالا يعلمه إلا الله».

[«مدراج السالكين» (٣/٧٨)]

مدى خطورة أهل الأهواء والبدع

● بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف المقدسي

* إفساد أهل الهوى والبدع أعظم من إفساد العدو من أهل الحرب:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣١-٢٣٢):

«وقال بعضهم لأحمد بن حنبل: إنه يثقل علي أن أقول: فلان كذا، وفلان كذا! فقال: إذا سكتَّ أنت وسكتُّ أنا؛ فمتى يعرف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم؟!».

وقال:

«ومثل أئمة البدع من أهل المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف؛ أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، وهذا أفضل.

فتبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ودينه ومنهاجه وشريعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون ابتداءً».

ثم قال ـ رحمه الله ـ:

«وأعداء الدين نوعان: الكفار، والمنافقون، وقد أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين في قوله -تعالى- في سورة التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، في آيتين من القرآن.[1]

فإذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب، ويلبسونها على الناس، ولم تبين للناس: فسد أمر الكتاب، وبُدِّل الدينُ؛ كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم يُنكَرْ على أهله.

وإذا كان أقوام ليسوا منافقين، لكنهم سمَّاعون للمنافقين: قد التبس عليهم أمرهم؛ حتى ظنوا قولهم حقاً؛ وهو مخالف للكتاب، وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين، كما قال تعالى في سورة التوبة: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

فلا بد أيضاً من بيان حال هؤلاء؛ بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم، فإن فيهم إيماناً يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين، فلا بد من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم؛ بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق؛ لكن قالوها ظانين أنها هدى، وأنها خير، وأنها دين؛ ولو لم تكن كذلك لوجب بيان حالها».

وقال ـ رحمه الله ـ في «نقض المنطق» ص(١٢)، و«مجموع الفتاوى» (٤/ ١٣) -في ذم أهل البدع، وبيان فضل من تصدى لهم بالحجة والبرهان، فأفحمهم بقوة البيان، وقطع جهيزتهم بالسنة والقرآن-:

«الردود على المعتزلة والقدرية وبيان تناقضهم؛ فيها قهر المخالف، وإظهار فساد قوله، هي من جنس المجاهد المنتصر، فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى[1] يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد».

---

(١) يشير بذلك ـ رحمه الله ـ إلى الآية رقم (٩) من سورة التحريم.

(١) هو ابن بكير التميمي النيسابوري شيخ الشيخين ـ البخاري ومسلم ـ توفي عام ٢٢٦ هـ.

قلت: وكذلك الردود على الخوارج، والشيعة، والجبرية، والأشاعرة، والماتريدية، والصوفية، وغيرهم من أهل الأهواء والبدع والخرافات والضلالات، وإظهار فساد معتقدهم من أعلى درجات الجهاد في سبيل الله.

واعلم -يا أخي المسلم- أن هذا ليس داخلاً في باب الغيبة بالكلية، يقول ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله- في رسالته «الفرق بين النصيحة والتعيير»:

«فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم؛ فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم؛ تحذيراً من الاقتداء بهم».

يقول محمد كرد علي (المتوفى: ١٣٧٢) ـ رحمه الله ـ في ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «المذكرات»:

«لو لمعت دعوة ابن تيمية؛ لسلم هذا الدين من تحريف المخرفين على الدهر، ولما سمعنا أحداً في الديار الإسلامية يدعو لغير الله، ولا ضريحاً تشد إليه الرحال بما يخالف الشرع، ولا يعتقد بالكرامات على ما ينكره ،أتى بالتوحيد لا للشرك، ولسلامة العقول لا للخبال والخيال».

قلت: ولَمَا سمعنا أحداً في الديار الإسلامية يدعو إلى التكفير والخروج، ويتهم أهل الحق بالإرجاء، ويهمز ويلمز العلماء الأفاضل.

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ:

«كان ابن تيمية في النصف الثاني من عمره سراجاً وهاجاً، أطفأ بعلمه وعمله شهرة أرباب المظاهر من القضاة والعلماء، وكان الصدر المقدم كلما دخل في موضوع ديني أو سياسي، وعبثاً حاول بعض الشافعية والمالكية أن يسلموه للعامة يقتلونه؛ فما استطاعوا أكثر من حجر حريته أشهراً في سجنه، وكان الملوك يحمونه من تعصب خصومه، ويعرفون قدره».

وقال:

«كان يهتم لنشر الدين، والقضاء على البدع بقلبه ولسانه وقلمه، وهمهم أن يرضى عنهم السلطان، فيبقيهم في مناصبهم، ويستميلوا العامة؛ فيقبِّلوا أيديهم.

وراح مرة في ثلة من أصحابه ومعهم حجارون، وأمرهم بقطع صخرة كانت بنهر قلوط بدمشق تزار ويُنْذَرُ لها، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن

الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً».[1]

* شر الناس من تشبه بأهل الحق يوهم أنه منهم وليس منهم:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ ينقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتابه «الداء والدواء» (صفحة: ٥٥):

«كما أن خير الناس الأنبياء، فشر الناس من تشبه بهم من الكذابين؛ وادعى أنه منهم وليس منهم. فخير الناس بعدهم: العلماء، والشهداء، والمتصدقون، والمخلصون، وشر الناس من تشبه بهم، يوهم أنه منهم وليس منهم».

وقال أبو نصر السِّجْزِيُّ (المتوفى: ٤٤٤هـ) في رسالته إلى أهل زَبِيدٍ -بعد أن كشف خفايا الكُلابية والأشعرية، وأنهم غير مثبتين لصفات الله -عز وجل-:

«والمعتزلة -مع سوء مذهبهم- أقل ضرراً على عوام أهل السنة من هؤلاء، لأن المعتزلة قد أظهرت مذهبها؛ ولم تستخفِ ولم تموِّه، بل قالت: إن الله بذاته في كل مكان، وإنه غير مرئي، وإنه لا سمع له ولا بصر . . والكُلابية والأشعرية قد أظهروا الرد على المعتزلة، والذب عن السنة وأهلها . . والضرر بهم أكثر من المعتزلة؛ لإظهار أولئك ـ يعني: المعتزلة ـ ومجانبتهم أهل السنة، وإخفاء هؤلاء ـ يعني: الأشعرية ـ ومخالطتهم أهل الحق».

وقال -أيضاً-:

«والذين بُلي كثير من أهل العلم فيهم:المعتزلة، وهم أعداء الأثر وأهله، وكبراؤهم: أبو الهذيل العلاف، وجعفر بن مبشِّر، والنَّظَّام، والجاحظ، وأبو علي الجُبَّائي، وابنه أبو هاشم، وأبو القاسم الكعبي البَلْخِيُّ، وقبل هؤلاء: عمرو بن عُبَيْدٍ، وواصل بن عطاء، وبعدهم: أبو عبد الله البصري، وأبو القاسم الواسطي. وبعدهما: الصاحب إسماعيل بن عَبَّاد، وعبد الجبار الأَسَدَابادي، كل هؤلاء دعاة إلى الضلالة.

(١) شيخ الباحثين محمد كرد علي ـ رحمه الله ـ بقلم: محمد بن إبراهيم الشيباني ـ منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق ـ الكويت ١٩٩٣.

ثم بُلي أهل السنة بعد هؤلاء بقوم يدَّعون أنهم من أهل الاتباع، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم».

* أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية -بالسنة والإجماع-:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في «المجموع» (١١/ ٤٧١) -في مناظرته لأتباع أحمد الرفاعي-:

«وذكرت ذم (المبتدعة) فقلت: روى مسلم في «صحيحه» عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «إن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

وفي «السنن» عن العرباض بن سارية قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة، ذَرَفَتْ منها العيون، وَوَجِلَتْ منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مُوَدِّع؛ فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»؛ وفي رواية: «وكل ضلالة في النار».

فقال لي: البدعة مثل الزنى، وروى حديثاً في الزنى. فقلت: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، والزنى معصية، والبدعة شر من المعصية، كما قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ فيما أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٣٨)، يقول: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، والمعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وكان قد قال بعضهم: نحن نُتَوِّبُ الناس، فقلت: لماذا تتوبونهم؟ قال: من قطع الطريق، والسرقة، ونحو ذلك. فقلت: حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم ؛ فإنهم كانوا فساقاً يعتقدون تحريم ما هم عليه، ويرجون رحمة الله، ويتوبون إليه، أو ينوون التوبة؛ فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الإسلام، يحبون ما يبغضه الله،

ويبغضون ما يحبه الله، وبينت أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي».

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«أما المعاصي فمثل ما روى البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً كان يدعى حماراً، وكان يشرب الخمر، وكان يُضْحِكُ النبي ﷺ، وكان كلما أتي به النبي ﷺ؛ جلده الحدَّ، فلعنه رجل مرة، وقال: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ﷺ؟! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله». قلت: فهذا رجل كثير الشرب للخمر، ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله؛ شهد له النبي ﷺ بذلك ونهى عن لعنه.

وأما المبتدع؛ فمثل ما أخرجا في «الصحيحين» عن علي بن أبي طالب وعن أبي سعيد الخدري وغيرهما ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ: أن النبي ﷺ كان يَقْسِمُ، فجاءه رجل ناتئُ الجبين، كَثُّ اللحية، محلوقُ الرأس، بين عينيه أثر السجود، وقال ما قال، فقال النبي ﷺ: «يخرج من ضئضىء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»؛ وفي رواية: «لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد؛ لنكلوا عن العمل»؛ وفي رواية: «شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه».

قلت [والكلام لابن تيمية]: فهؤلاء -مع كثرة صلاتهم، وصيامهم، وقراءتهم، وما هم عليه من العبادة والزهادة- أمر النبي ﷺ بقتلهم، وقتلهم علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي ﷺ، وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته»[1].

وقال ـ رحمه الله ـ:

«وأظن أني ذكرت قول الشافعي: لأن يبتلى العبد بكل ذنب -ما خلا الشرك بالله- خير من أن يبتلى بشيء من هذه الأهواء ».اهـ

(١) وهؤلاء هم الذين أنكر عليهم عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ تحلقهم للذكر في القصة المشهورة.

* أئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب:

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بشأن أئمة أهل البدع-:

«وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب، ولهذا أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج، ونهى عن قتال الولاة الظلمة، وأولئك لهم نَهْمَةٌ في العلم والعبادة، فصار يعرض لهم من الوساوس التي تضلهم ـ وهم يظنونها هدى فيطيعونها ـ ما لا يعرض لغيرهم».اهـ

لذلك تجده ـ رحمه الله ـ يقول في «المجموع» (٢٠/ ١٠٣):

«إن أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية -بالسنة والإجماع-؛ إذ أهل المعاصي؛ ذنوبهم فعل بعض ما نهوا عنه، من سرقة، أو زنى، أو شرب خمر، أو أكل مال بالباطل. وأهل البدع؛ ذنوبهم ترك ما أمروا به من اتباع السنة وجماعة المؤمنين».

ويا أخي المسلم اقرأ ما نقله ابن بَطَّةَ في «الإبانة الكبرى» (صفحة:١٣٢) عن سعيد بن جبير قوله: «لأن يصحب ابني فاسقاً شاطراً سُنِّيّاً؛ أحب إلي من أن يصحب عابداً مبتدعاً».

«وهكذا يتضح ويظهر قبح البدع في الإسلام، وأنها أظلم من المعاصي؛ لأن البدع زيغ في العقيدة، وانحراف في التصور، وفساد في الإيمان، بينما المعاصي انحراف في عمل الجوارح»[1].

* معنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها:

ويفسر شيخ الإسلام ابن تيمية كلام سفيان الثوري المتقدم بقوله في «المجموع» (١٠/ ٩):

«ومعنى قولهم: «إن البدعة لا يتاب منها»: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله، قد زُيِّنَ له سوء عمله، فرآه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيىء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب، ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسناً وهو سيىء في نفس الأمر، فإنه لا يتوب.

ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة، بأن يهديه الله ويرشده، حتى يتبين له

(١) كتاب «البدعة وأثرها السيىء في الأمة» للشيخ: سليم بن عيد الهلالي السلفي ـ حفظه الله ـ.

الحق، كما هدى سبحانه وتعالى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع الحق ما علمه[1].

فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، كما قال -تعالى- في سورة محمد: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾. [الآية:١٧]

وقال -تعالى- في سورة النساء: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾. [الآيات:٦٦-٦٨]

وقال -تعالى- في سورة الحديد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [الآية:٢٨]

وقال -تعالى- في سورة البقرة: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. [الآية:٢٥٧]

وقال -تعالى- في سورة المائدة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. [الآيتان: ١٥-١٦]

وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسنة.

وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه -تبعاً لهواه-؛ فإن ذلك يورثه الجهل والضلال، حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح، كما قال تعالى- في سورة الصف: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. [الآية:٥]

وقال -تعالى- في سورة البقرة: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾. [الآية:١٠]».

---

(١) والكل يعلم ما جرى بين عبد الله بن مسعود وهؤلاء المبتدعة الذين قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير! فالناظر إلى مقالتهم يجد فيها رد عبد الله بن مسعود؛ إذ قال لهم: عُدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيئٌ». فردَّهم - رضي الله عنه - إلى العلم والتعلم حتى يدركوا ما هم فيه من البدعة والضلالة. فإذا أدركوا بالعلم النافع أن عملهم بدعة وضلالة، وأنهم على شر، فهذا أول باب للتوبة والحسنات ودخول الجنة.

❖الحلقة الرابعة

مآخذ منهجية على د. سفر الحوالي

• بقلم: فضيلة الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي

رابعاً: تحدث (سفر) في (ص ٨٤) عن الطواغيت وأنهم نسخوا شريعة الله جهاراً نهاراً، وأنهم حكموا شرائع الطاغوت في الدِّماء والأموال والأعراض، وألزموا النّاس في مناهجهم ووسائل تربيتهم بموالاة الكفار، وتقديس عظماء الكفر من فلاسفة وقادة، وحكام، ونشروا من استحلال المكفرات والموبقات ضروباً وألواناً، وسخروا من الحدود، والحجاب، وتعدد الزوجات، وأحكام الميراث، والعبادات، والأخلاق . . . كلُّ هذا وأكثر الشعبُ لا يَرفع عليهم رأساً، والجريء منهم يعتبره خطأ أو معصيةً، والمنافقون من أصحاب العمائم [كما قال أحدهم]:

«لو كان لي من الأمر شيء؛ لجعلتك في منزلة من لا يسأل عما يفعل».

ثم علق على هذه الفقرة بقوله:

« وأين استهزاء منافقي تبوك بالقرآن من منافقي عصرنا، كصاحب كتاب «أبو هريرة شيخ المضيرة»، والمضيرة نوع من الطبيخ زعم المؤلف -أخزاه الله- أن أبا هريرة -رضي الله عنه- كان مغرماً بأكله، وأن معاوية -رضي الله عنه- استغل ذلك، فكان يصنعه لأبي هريرة؛ لكي يضع أبو هريرة أحاديث

في فضائل معاوية، وينسبها إلى رسول الله ﷺ، ومع هذا فقد ظَلَّ مؤلفه (أبو رية) معدوداً في علماء العصر، وكتّابه المعتبرين، وما صنع به علماء الإرجاء في الأزهر وغيره شيئاً، ودافعت عنه جريدة الشرق الأوسط وغيرها !!».

التعليق:

نَشكرُ الشيخ سفراً في الجملة على غيرته هذه؛ لكن لنا عليه بعض الملاحظات:

الأولى: تعميم الطُّواغيت والمساواة بين الحكام في مواقفهم وفي موقفهم من الشَّريعة والسخرية بها، ووصفهم جميعاً بنسخ الشريعة جهاراً نهاراً، فهناك من حكام المسلمين من يجل شريعة الإسلام، ويعتز بها، ويطبقها، ولديه مخالفات يعترف بها، فكان عليه أن ينوِّه بواقعهم؛ ولا سيما في هذا العصر.

ثم مَن سَخِرَ مِن الحكام أو غيرهم بالشريعة؛ فقد قوبلوا بالتَّكفير، وشاع ذلك وذاع بين الأمة.

الثانية: أن هذا الذي قال:لو كان لي من الأمر شيء . . . إلخ، لما سخط عليه (الإخوان المسلمون)؛ وشهروا به وأزعجوه، ولما رضوا عنه رفعوه ومجدوه؛ فالأصل هو رضاهم وسخطهم، لا رضا الله ولا سخطه، هذا مع أن الإخوان والقطبيين قد جعلوا سيد قطب وقياداتهم فوق مستوى النقد، لا سيما سيد قطب، فلا يعدون ضلالاتهم من الباطل، ولا يفسحون المجال لمن ينتقدهم ويبين ضلالهم، بل يحاربون مَن يقوم بإنكار هذه المنكرات العقدية والمنهجية.

الثالثة: نشكر سفراً على غضبه على (أبي رية) الذي طعن في الصحابيين الجليلين أبي هريرة ومعاوية -رضي الله عنهما-، ونطالبه هو وأمثاله ممن يعظمون سيد قطب أن يعلنوا سخطهم واستنكارهم على سيد قطب لتنقصه لنبي الله موسى -عليه الصلاة والسلام-، ولطعنه في معظم الصحابة -وعلى رأسهم عثمان بن عفان الخليفة الراشد الذي يستحي منه النبي ﷺ وملائكة الرحمن-، حيث أسقط سيد قطب خلافته وطعن فيها وفيه -رضي الله

❖ «هذا مع أن الإخوان والقطبيين قد جعلوا سيد قطب وقياداتهم فوق مستوى النقد، لا سيما سيد قطب، فلا يعدون ضلالاتهم من الباطل، ولا يفسحون المجال لمن ينتقدهم ويبين ضلالهم، بل يحاربون من يقوم بإنكار هذه المنكرات العقدية والمنهجية».

عنه-، وادعى أنه تحطمت أسس الإسلام في عهده، وتحطمت روح الإسلام في عهده، إلى كثير من الطعون فيه، وفي أهل عصره، وفي بني أمية عموماً، والصحابة منهم خصوصاً.

ولا شك أن هذه الأمور التي ارتكبها سيد قطب في حق نبي الله موسى، وفي حق الصحابة أعظم مما صنعه ذلكم الرجل الأثيم (أبو رية).

وقد رمى سيد قطب معاويةَ وعَمْرَو ابن العاص بالكذبِ، والخيانة، والنّفاق، والرشوة، وشراء الذِّمم، فهذه الفعلة وحدها قد تزيد على ما ارتكبه (أبو رية).

فكيف يغضب منه -وهذا الغضب حق-، ولا يغضب على من ارتكب أشنع وأعظم منه بكثير وكثير؟!

وهل يرضى ربنا هذا الكيل وهذا الوزن؟!

خامساً: قال الشيخ سفر (ص ٨٥-٨٦):

«وسقط حدُّ الردة إلا من كتب الفقه الموروثة، بل ظهر في صفوف المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية اتجاه جديد، ينكر حَدَّ الردة ضمن ما ينكر من حدود الإسلام وأصوله».

ثم علّق على هذا الكلام بقوله:

«وهو الاتجاه المسمى العصرنة (MODERNISM)، وهي زندقة

عصرية يروّج لها عصابة من الكتّاب، يتسترون بالتجديد وفتح باب الاجتهاد لمن هبَّ ودبَّ! وكتاباتهم صَدىً لما يدور في الدوائر الغربية المترصدة للإسلام وحركته، وربما يكشف الزَّمنُ عن صِلات أوضح بينهم وبينها -كلهم أو بعضهم-؛ وأصول فكرهم ملفقة من مذاهب المعتزلة والروافض وبعض آراء الخوارج، مع الاعتماد على كتب المستشرقين والمفكرين الأوربيين عامة، وهم في كثير من الجوانب امتداد للحركة الإصلاحية التي ظهرت في تركيا والهند ومصر على يد (الأفغاني)، و(مدحت باشا)، و(ضياء كول آلب)، و(أحمد بهادر خان)، وأضرابهم، وتتلخص أفكارهم في:

١- تطويع الإسلام لكلِّ وسائل التَّحريف، والتَّأويل، والسفسطة؛ لكي يساير الحضارة الغربية فكراً وتطبيقاً.

٢- إنكار السُّنَّة إنكاراً كلياً أو شبه كلي.

٣- التقريب بين الأديان والمذاهب؛ بل بين الإسلام وشعارات الماسونية!!

٤- تبديل العلوم المعيارية -أصول الفقه، وأصول التفسير، وأصول الحديث- تبديلاً تاماً؛ وفرَّعوا على ذلك إنكارَ الإجماعِ، والاعتماد على الاستصحاب الواسع والمصالح المرسلة الواسعة -كما يسمونها- في استنباط الأحكام، واعتبار الحدود تعزيرات وقْتيَّة.

٥- الإصرار على أن الإسلام ليس فيه فقه سياسي محدد؛ إنما تَرَكَ ذلك لرأي الأمة؛ بل وسعوا هذا فأدخلوا فيه كلَّ أحكام المعاملات، فأخضعوها لتطور العصور، وجعلوا مصدرها الاستحسان والمصالح الواسعة.

٦- تتبع الآراء الشاذة والأقوال الضعيفة والرخص، واتخاذها أصولاً كلية، وهم -مع اتفاقهم على هذه الأصول في الجملة- تختلف آراؤهم في التطبيقات، وبعضهم قد يحصر بحثه وهمه في بعضها، وهذا الاتجاه على أية حال لا ضابط له ولا منهج، وهدفه هدم القديم أكثر من بناء أي شيء جديد، وإنتاجه الفكري نَجِدُهُ في مجلة

«المسلم المعاصر»، ومجلة «العربي»، وكتابات حسن الترابي، ومحمد عمارة، ومحمد فتحي عثمان، وعبدالله العلايلي، وفهمي هويدي، وعبدالحميد متولي، وعبدالعزيز كامل، وكمال أبو المجد، وحسن حنفي، وماهر حتحوت، ووحيد الدين خان.

وإنما رأيت ضرورة التنبيه عنهم، لخطورتهم واستتار أمرهم عن كثير من المخلصين».

التعليق:

نشكر الشيخ سفراً على هذه الغيرة وهذا البيان والنصح للإسلام والمسلمين، وأن الضرورة اقتضت التنبيه على هؤلاء لخطورتهم واستتار أمرهم، وهذا منه انطلاق من قاعدة إسلامية عظيمة، وهي تقتضي منه ومن غيره الانطلاق منها تجاه كل خطر وضرر يمس دين المسلمين أو دنياهم.

ولكننا لا نرى منه تنزيل هذه القاعدة على معظم قيادات الإخوان المسلمين -ولا سيما سيد قطب-، وهم من أولى الناس بتطبيق هذه القاعدة؛ لخطورتهم وخطورة عقائدهم ومناهجهم وأصولهم التي يجيدون تغليفها بالإسلام، فتخفى على كثير من الأذكياء فضلاً عن البلهاء.

والذي يهمنا هنا أكثر: هو سيد قطب الذي اشتد خطره، واستشرت وانتشرت فتنته في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن أعظم أسباب عمومها وانتشارها: الهالات العظيمة التي نُسِجَتْ حوله، والأساطير التي رويت عنه، والترويج الإعلامي الواسع النطاق الذي جُنِّدَ له، وممن ساهم في هذا الترويج الخطير: سفر الحوالي.

❖ «ولم نر ولم نسمع له كلمة نقد وجهت إلى عقيدة من عقائد سيد قطب الجهمية والاعتزالية والصوفية، ولا إلى فلسفاته وأفكاره الغريبة، ولا إلى طعونه في الصحابة وغيرهم من الأمة الإسلامية من علماء وغيرهم».

ولم نر ولم نسمع له كلمة نقد وجهت إلى عقيدة من عقائد سيد قطب الجهمية والاعتزالية والصوفية، ولا إلى فلسفاته وأفكاره الغربية، ولا إلى طعونه في الصحابة وغيرهم من الأمة الإسلامية من علماء وغيرهم.

فإذا كانت أصول من ذكر هنا ملفقة من مذاهب المعتزلة والروافض وبعض آراء الخوارج؛ فسيد قطب أوفر حظاً منهم.

وإذا كان هؤلاء قد تأثروا بالمستشرقين والمفكرين الأوربيين؛ فسيد قطب كذلك، وكل ذلك موجود في كتبه.

وأما الخطر؛ فلو احتشد هؤلاء وأضعافهم؛ ما بلغوا معشار خطره، لا سيما وهناك من يُروِّج له ممن يعتقد الناس فيهم أنهم من علماء التوحيد والسنة.

فإذا وجد الشباب الشيخ سفراً يقول عن سيد قطب: إنه من أهل السنة والجماعة، ووجدوا سفراً يرفعه إلى مصاف أئمة السنة كابن تيمية وابن عبد الوهاب، بل ويقدمه أحياناً في أخطر الموضوعات على أئمة السنة؛ فكيف يكون حالهم تجاه هذه الشخصية التي تحتل هذه المكانة؟!

سادساً: لقد طرح الشيخ سفر أسئلة حول المنهج والعقيدة بتفاصيلها، وما يلحقه الدعاة إلى هذه العقيدة وهذا المنهج.

ثم قال (ص ٩٥-٩٦):

«إن الإجابة الشافية على هذه الأسئلة: بإيضاح الحقائق الكبرى التي يغفل عنها من ينظر لهذا المنهج أول وهلة، يمكن أن نستنبطها ونقرأها من العرض السابق نفسه؛ أي: من واقع سيرة النبي ﷺ وأصحابه، كما أن علماء أهل السنة والجماعة أجابوا عنها بلسان الحال، أو بلسان المقال، أو تلميحاً، وقد وجدت أن أفضل من أجاب على هذه الأسئلة من فقهاء الدعوة المعاصرين هو الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -، وهأنذا أنقل من كلامه ما يفيد ذلك -مع بعض زيادات توضيحية-:

إن حقيقة العبادة لو كانت هيْ مجرد الشعائر التعبدية، ما استحقت كل هذا الموكب من الرسل والرسالات، وما استحقت كل هذه الجهود المضنية التي بذلها الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم –، وما استحقت كل هذه العذابات التي تعرض لها الدعاة المؤمنون على مدار الزمان، إنما الذي استحق كل هذا الثمن الباهظ: هو إخراجُ البشر جملة من الدينونة للعباد وردُّهم إلى الدينونة لله وحده في كلِّ أمر، وفي كل شأن، وفي منهج حياتهم كله للدنيا والآخرة.

إن توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد القوامة، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد مصدر الشريعة، وتوحيد منهج الحياة، وتوحيد الجهة التي يدين لها الناس الدينونة الشاملة:

إن هذا التوحيد هو الذي يستحق أن يرسل من أجله الرسل، كلّ هؤلاء الرسل، وأن تبذل في سبيله كل هذه الجهود، وأن تتحمل لتحقيقه كل هذه العذابات والآلام على مدار الزمان ... لا لأن الله سبحانه في حاجة إليه؛ فالله سبحانه غني عن العالمين، ولكن لأن حياة البشر لا تصلح ولا تستقيم ولا ترتفع ولا تصبح حياة لائقة بالإنسان؛ إلا بهذا التوحيد الذي لا حد له في الحياة البشرية في كل جوانبها على السواء».

التعليق:

هذا تهوين من شأن هذه الشعائر، تلقفه سيد قطب من المودودي، سببه الغلو في السياسة، إذ يرى المودودي أن العبادات من وسائل إقامة الدولة التي يسميها بالإسلامية! وفي هذا الكلام ما يشي بأن ما يتعلق بالإنسان أعظم وأهم من عبادة الله!

إن الشعائر التعبدية –من طهارة وأذان وصلاة وزكاة وحج، وأركان الإيمان من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر وما حواه من جنة ونار، والإيمان بالقدر خيره وشره، والإحسان في العبادة–، هذه الأمور هي الدين كما في حديث جبريل، وهي حَرِيَّةٌ ومستحقة كل هذه الجهود المضنية

التي بذلها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- .

ويقول الرسول ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله».

وما عدا ذلك من المعاملات؛ فأمور تابعة تختلف الرسالات في تحليلها وتحريمها، وتشريعها وإلغائها بالنسخ، مع اتفاق الشرائع في وجوب الصدق والأمانة والعدل.

والشاهد: أنه لا يليق أن نقول هذا القول: إن الشعائر التعبدية لا تستحق . . . إلخ، فإن الله لو شرع الصلاة والزكاة فقط بعد الشهادتين؛ لاستحقَّتا كل هذه الجهود من الرسل والرسالات.

أما تقسيم التوحيد إلى سبعة أقسام - مع الغفلة عن توحيد الأسماء والصفات- فأمر غريب! فخصوم السنة يعترضون على تقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وأهل السنة في هذا العصر يصرون على أنه ثلاثة، وإذا بسيد قطب يفاجئنا بأنه سبعة؛ مع نسيانه لواحد من أعظم الأقسام الثلاثة التي اصطلح عليها أهل السنة.

وإذا كان سيد قطب مضطرباً ومخلطاً في الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

وإذا كان يخالف أهل التوحيد والسنة في تفسير (لا إله إلا الله)، ويسير في تفسيرها على طريقة أهل الكلام، ويخالفهم في توحيد الأسماء والصفات:

فكيف تقدِّمه على فرسان التوحيد وأئمة السنة، في أخطر تخصصاتها وأعظم مميزاتها؟!

ثم لو تكلمنا بفقه ووعي؛ لاستطعنا أن نرد هذا التقسيم السُّباعي إلى نوعين: الألوهية والربوبية، فتوحيد الحاكمية وتوحيد مصدر الشريعة هما شيء واحد، وهو من حقوق الألوهية، وكذلك توحيد منهج الحياة وأهم العبادات من حقوق الألوهية، فكلها داخل في قوله ﷺ: «إلا بحقها»؛ أي: بحق لا إله إلا الله، فتوحيد الجهة التي يدين

لها للناس هو توحيد الألوهية، وينبغي الابتعاد عن هذا التعبير عن الله عز وجل بهذه العبارة.

أما توحيد القوامة؛ فيرجع إلى توحيد الربوبية.

فكان الواجب على الشيخ سفر أن يُؤْثِرَ فرسان التوحيد وما قالوه في هذا الباب العظيم، فينقل كلاماً محرراً ناضجاً وافياً، تكاملت فيه أنواع التوحيد، فيكون قد أعطى القوس باريها، ووضع الشيء في موضعه وذلك من الحكمة، ويبتعد عن مواطن الزلل، وعن أهل الزيغ والجهل والخطل.

وإنني لأتعجب من حال (سفر) كيف لا يدرك أنه قد فاته أمر عظيم، ألا وهو توحيد الأسماء والصفات؟!

وعلى كل حال؛ فإن سفراً قد أُعجب بكلام سيد قطب، فينقل عنه كلاماً كثيراً، وعليه فيه مآخذ لا يتسع لمناقشتها هذا الاستطراد، ولكن نقول له:

قد أُعْجِبَ من هو أذكى -وأعقل من سفر بمراحل- بأهل البدع، فوقع في حبائلهم، كابن حزم وابن عقيل وابن الجوزي وغيرهم، وننصحه بمراجعة حصيلته العلمية؛ ليهذبها ويغربلها من فكر سيد قطب وأمثاله، فهذا خير له في الدنيا والآخرة .

ويعلم الله أنني أحب له ولأمثاله كل خير ما أحبه لنفسي، فأرى أن من أوجب الواجبات عليه أن يكف عن إعطاء سيد قطب ما لا يستحقه، وفوق منزلته، ومدحه له وإعجابه به، وأنصحه بالقيام الجاد ببيان ما عنده من الضلالات الكبيرة، وتحذير الناس منها ومن كتبه، وذلك من أوجب الواجبات عليه لتكفير ما سبق منه من تعظيمه، وليدفع الله به عن الإسلام والمسلمين شراً عظيماً، وينقذ به ضحايا صارت عِبْأً ثقيلاً على الإسلام والمسلمين، فإن فعله هذا أوجب من تحذيره من الترابي وهويدي ومن ذكرهم معهما!!

وللبحث بقية . . .

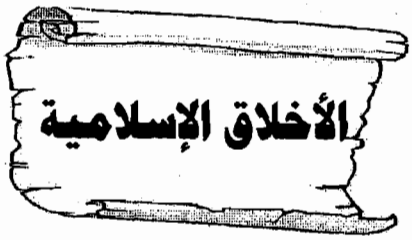

❖الحلقة الثالثة

الوَفَاءُ بالعَهْدِ والوَعْدِ

●بقلم: الأستاذ محمود سلامة المُهر

❑ عقابُ الّذين ينقضونَ عهودهم ومواثيقهم بغير عذرٍ شرعيٍّ في الدارين:

أ) في الدنيا:

أولاً: أن الله -عزّ وجلّ- يبغضه.

ثانياً: يبغضه جبريل -عليه السلام- والملائكة.

ثالثاً: توضع له البغضاء في الأرض، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ، حيث قال:

« . . وإذا أبغضَ عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضْه. قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إنّ اللهَ يُبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضونه، ثمَّ توضع له البغضاءُ في الأرض». [«مسلم بشرح النووي» (١٦/ ١٨٣-١٨٤)]

واعلم -يا أخي المسلم -ثبّتني الله وإياك وإخواننا المسلمين على الحقّ- أنك إذا أردت أن تُسلم لك عقيدتك في توحيد الأسماء والصفات؛ فأثبت لله -عز وجل- ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ -على ما يليق بعظمته وجلاله دون تشبيهٍ، أو تأويلٍ، أو تعطيلٍ- على حدّ قوله -سبحانه-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .[الشورى: ١١]

فالله -جل وعلا- له الأسماء الحسنى البالغة في الحسن غايته،

الموصوف بصفات الكمال والجلال، فهو -جل وعلا- يحبُّ، ويبغضُ، وينزلُ، ويسمعُ، ويُبصر . . . إلى غير ذلك من الصفات، على الحقيقةِ لا المجاز؛ ولكن دون تأويل، أو تشبيه، أو تعطيل.

فـ«يُبغض» هنا في الحديث على الحقيقة، وليس كقول من يقول: (إنّه إرادة عقابه أو شقاوته ونحوه)!! فإنّ هذا تأويلٌ للصفات وليس بصحيح، فهو إمّا زَلة عالم مجتهدٍ -له أجرٌ واحدٌ على اجتهاده-، وإمّا تأويل مغرض جاهلٍ، فهو مأزور غير مأجور.

ب) عقابهم في الآخرة:

وأمّا عقابهم في الآخرة؛ فهو أشد وأنكى، ويتمثل ذلك في:

أولاً: اللعن وسوء المنقلب قال -سبحانه وتعالى-:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾. [الرعد:٢٥]

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في هذه الآية:

«هذا حال الأشقياءِ وصفاتُهم، وذكر ما لهم في الآخرة، ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدّنيا، فأولئك كانوا يوفون بعهد الله، ويصِلون ما أمر الله به أن يوصل، وهؤلاء ينقضون عهدَ اللهِ من بعد ميثاقِه، ويقطعونَ ما أمرَ اللهُ به أن يُوصلَ، ويُفسدون في الأرض . . .

ولهذا قال: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾؛ وهي الإبعاد عن الرحمة، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، وهي سوء العاقبة والمآل». [(٢/ ٥٦١)]، وبنحوه القرطبي [(٩/ ٢٧٤)]

ثانياً: العذاب الأليم: قال -سبحانه وتعالى-:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [آل عمران:٧٧]

ثالثاً: اللّواء الذي يُرفعُ له يومَ القيامةِ أمامَ الأشهادِ، بياناً وإعلاماً

بغدره في الدنيا؛ قال النبي ﷺ: «لكلّ غادرٍ لواءٌ، يُرفع له بقدرِ غدرته، ألا ولا غادرَ أعظم غدراً من أمير عامّة». [«ترتيب صحيح الجامع» (٣/ ١٣٥)]

وعن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكلّ غادرٍ لواء يوم القيامةِ، يُقالُ: هذه غدرةُ فلانٍ». [«فتح» (٦/ ٢٨٣)] - بنحوه، «صحيح مسلم»، واللفظ له (١٢/ ٤٣) «شرح النووي»]

وفي رواية أخرى، قال النبي ﷺ:

«من قَتَل معاهداً في غير كُنهه حرّم الله عليه الجنة». [«ترتيب صحيح الجامع» (٣/ ١٣٥)]

ومعنى «في غير كُنهه»؛ أي: في غير ما يحلّ فيه القتل. [«ترتيب صحيح الجامع» (٣/ ١٣٥)]

وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ، قال:

«من قتل معاهداً؛ لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً». [رواه البخاري]

قال الصنعاني -رحمه الله-: «وفي الحديث دليل على تحريم قتل المعاهد، وتقدّم الخلاف في الاقتصاص من قاتله». [«سبل السلام» (٤/ ٧٠)]

❑ الأجر العظيم للذين يُوفون بعهودهم ومواثيقهم في الدارين:

أ) في الدينا:

١) محبة الله -عزّ وجلّ- لهم.

٢) وضع القبول لهم في الأرض.

٣) محبة جبريل -عليه السلام- وأهل السماء لهم.

وكفى بهذه الفضائل والأجور فضلاً ورفعةً للمؤمنين الصادقينَ الموفين بعهودهم ومواثيقهم، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح:

«إنّ الله إذا أحبَّ عبداً؛ دعا جبريلَ فقال: إني أُحبُّ فلاناً فأحبَّه، قال: فيحبه جبريل، ثمَّ ينادي في السماءِ: إنّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأحبوه، فيحبّه أهل السماءِ، ثم يُوضعُ له القبولُ في الأرض . . .» [«مسلم - بشرح النووي» (١٦/ ١٨٣-١٨٤)]

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. [آل عمران:٧٦]

ومحبة الله لعبده الطائع المُخْبتِ: على حقيقتها على ما يليق بعظمة الله -سبحانه-، لا كما يقول المتأولون: إنها إرادةُ الخيرِ والهداية والرحمة.

ومعنى وضع القبول في الأرضِ؛ قال النووي -رحمه الله-:

«أي: الحبّ في قلوب الناس، ورضاهم عنه، فتميل إليه القلوبُ، وترضى عنه، وقد جاء في رواية: «فتوضع له المحبة». . . ». [«مسلم- بشرح النووي» (١٦/ ١٨٤)]

قلتُ: ولكن لا بدَّ من تقييدِ هذه المحبةِ التي يجعلها الله في قلوب الناس للمؤمنين العاملين بما يرضيه -جل وعلا- بأمرين:

الأول: بالمؤمنين والمسلمين؛ فهم الذين يوجد في قلوبهم حبُّ هذا العبد، والميلُ إليه، وأما الملاحدة والمشركون واليهود والنصارى، فلن يكون ذلك في قلوبهم؛ إلا أن يشاء الله -سبحانه-، قال -تعالى-: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. [البقرة: ١٢٠]

ويرحم الله الشافعي حيث يقول -فيما يُنقل عنه-:

«إرضاءُ الناسِ غايةٌ لا تُدرك».

الثاني: أنْ يكون الحبُّ والرضا نابعاً من قلوبهم بصدقٍ وإخلاصٍ، يحبونه ويرضونَ عنه -لإيمانِهِ وتقواه-، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ:

«من أحبَّ للهِ، وأبغضَ للهِ، وأعطى للهِ؛ ومنعَ للهِ، فقد استكمل الإيمان». [«السلسلة الصحيحة» (١/رقم: ٣٨٠)]

لا يحبونه لجاهِهِ، ومالِهِ، وحسبِهِ، ونسبِهِ، أو خوفاً من ظُلمهِ، وطغيانِهِ، وشرهِ، وفساده؛ كما جاء في الحديث:

«. . . حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . . .». [«مسلم - بشرح النووي» (٢/ ١٦٩)]

ب) وأما في الآخرة؛ فأجرهم أعظمُ وأكبرُ؛ قال -سبحانه-: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]

قال القرطبي: (١٥/ ٢٤٤-٢٤٥) «يعني: الجنة».

عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١٠]

قال القرطبي: (١٥/ ٢٤٤-٢٤٥) «يعني: الجنة».

وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-، قال: قال النبي ﷺ:

«اضمنوا لي ستّاً؛ أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتُمنتم . . .». [رواه أحمد وابن حبان والبيهقي. وانظر: «الترغيب والترهيب» (٤/ ٤١)، و«ترتيب صحيح الجامع» (٣/ ١٣٤)]

قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:

﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. [التوبة: ١١١]

قال ابن كثير -رَحِمَهُ الله-:

«أي: فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد، ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم، والنعيم المقيم». [(٢/ ٤٣٠)، وبنحوه القرطبي (٨/ ١٨٨)]

❑ وفي الختام أسأل اللهَ -عز وجل- أن يَردَّ هذه الأمة إلى العمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ؛ لتعمل بما يُرضي الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ ليعود إليها عِزُّها وقوتها ومكانتها بيْن الأمم، كما كانت من قبْلُ لأسلافنا وأجدادنا، الذين كانوا عاملين بهذا الكتاب العظيم والسُّنَّة النبوية المطهرة، ففتحوا الدنيا في أقل من نصف قرن من الزمانِ، ونشروا عقيدتَهم ودينهم في أرجاء هذه الدنيا.

وما أحوجَها الليلةَ إلى ما كانت عليه البارحة! لتتخلصَ مما هي فيه من ذلٍّ، وهوانٍ، وتفرقٍ، ونزاعٍ، وقهرٍ، وسفك دماءٍ، إلى غير ذلك.

سبحانك اللهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

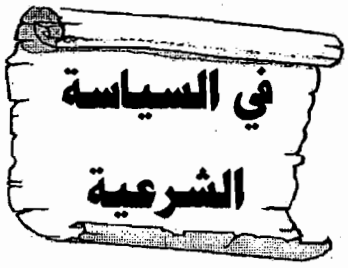

❖الحلقة الثانية

العمليات الفدائية؛ أ هي انتحارية ؟! أم استشهادية ؟!

وتحقيق رأي شيخنا الإمام المحدث الألباني –رحمه الله– فيها . . .

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

ومما ينبغي ذكره بهذا الصدد أمور:

أولاً: أن فتاوى المعاصرين في هذه المسألة موجزة غير مفصلة، وكل منهم يتكلّم على هذه العمليات من جهة، وبعض هذه الفتاوى تقتصر على واقعة معينة، أو يكون صاحبها واضعاً في حسبانه شيئاً معيناً، ولذا يجب مراعاة هذه الأمور، فقد تختلف الفتاوى باختلاف الحالات، أو بتعدد البلدان، واختلاف الزمان والأوان، فهي تدور على المصلحة المتوخاة، المضبوطة بقواعد الشرع ومقاصده، وجوداً وعدماً.

ثانياً: أن الاختلاف في هذه المسألة يقع بين العلماء بناءً على اختلاف تصوّراتهم عنها، فقواعدهم واحدة، وتحقيق مناطها بينهم مختلف، ولو اتفقت أنظارهم لاتّحدت فتاويهم، وهذا النوع من الخلاف فيه سعة، إذ لا يوجد فيه تعدٍّ على النصوص، فالحقّ مع الطرفين،

ولكن ينقص المخطئ العدل[1]! وهذا النوع يقع بين أصحاب المدرسة الواحدة، والمشرب والمذهب الواحد!

ثالثاً: هنالك فرق بين ما يستدل به المجوّزون من نصوصٍ وحوادثَ وقعت للمجاهدين في العصور السابقة، وبين هذه العمليات، وأهم هذه الفروق:

أن في تلك الأحداث موتاً على أيدي الأعداء، والطمعُ في النجاة حاصلٌ، ولو باحتمال ضئيل، بخلاف ما في هذه العمليات، إذ الموت محقق، وهو بيد صاحبها!

وقد عبر عن ذلك بعض المعاصرين بقوله: «فمن ألقى بنفسه في الهلاك لصالح دينه، أو لصالح المسلمين، فقد فدى دينه وإخوانه بنفسه، وذلك غاية التضحية وأعلاها، وكم للمسلمين الأوائل من مواقف مشهودة كلها تضحية وفداء، وبذلك نستطيع أن نجيز ما يعمله الفدائي المسلم في عصرنا هذا، من أعمال يذهب هو ضحيتها، بعد أن يكون قد نكل بالعدو وقتل ودمر، وذلك مثل: إغراق سفينة بمن فيها من الأعداء وهو معهم، احتلال فندق لقتل من فيه من المقاتلين وهو يعلم أنه يُقتل معهم، وضع المتفجرات في معسكر، أو في مصنع حربي، أو في إدارة عسكرية للقضاء على من فيها، وهو يعلم أنه لا نجاة له، إلى آخر مثل هذه الأمور، ولكن لا يجوز أن يلتفَّ بحزام ناسف لينسف نفسه ومن بجواره، والفرق أن الأصل في الحالة الأولى أنه يقتل عدوه، وجاء قتله تبعاً لذلك، ولذلك لو استطاع الهروب من القتل والنجاة بعد التفجير؛ وجب عليه ذلك.

أما الحالة الثانية؛ فالأصل فيها قتل نفسه أولاً ليقتل غيره، وقد لا يقتل هذا الغير لسبب من الأسباب، وإقدامه على قتل نفسه ابتداءً لا يحل في مثل هذه الظروف»[2].

رابعاً: الذي أُراه راجحاً في هذه

---

(1) ولذا ينبغي تعليق هذه «المسائل» على «المجامع الفقهية»، بعد الاستماع إلى وجهة نظر أهل الاختصاص، والتصور الدقيق لها.

(2) «الجهاد والفدائية في الإسلام» (١٦٦-١٦٧) لحسن أيوب.

العمليات: الجواز مع شروط وقيود[1]؛ إعمالاً للمعاني[2]، وإلحاقاً للمسألة بأشباهها ونظائرها عند الفقهاء.

ولا بد من (الشروط) و(القيود)؛ لأنّ المحافظة على النفس من المقاصد الشرعية الكبرى، فكيف يتعمد مسلم إزهاق نفسه ليقتل عدوه؟ والمحافظة على بقاء المسلم مقدم على إزهاق روح الكافر، ولما كانت هذه العمليات خلاف هذا الأصل؛ احتجنا إلى قيود وشروط لتجويزها.

وأما (المعاني)؛ فقد وجدنا الفقهاء يجوزون قتل المسلمين إذا تترس بهم الكفار، حفظاً لبيضتهم، ومن المعلوم أن قتل الجماعة أشد وأعظم إثماً من قتل الواحد، وقتل الغير أعظم من قتل النفس، وقد جوّز الفقهاء ذلك بناءً على المصلحة المترتبة، قال ابن تيمية -رحمه اللّه-:

«وقد اتفق العلماء على أنّ جيش الكفار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين، وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يُقاتلوا؛ فإنهم يُقاتلون، وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم»[3].

فإذا جاز لدرء الضرر قتلُ الجماعة من المسلمين؛ فقتل المجاهد نفسه جائز من باب أولى، وقد نوّه الحافظ ابن حجر في شرحه (باب: ما جاء في قاتل النفس) بذلك، وأورد البخاري تحته أحاديث قتل المسلم نفسه، فقال ابن حجر:

---

(1) انظرها في النقطة العاشرة.

(2) من سمات المحققين من الفقهاء: عدم التعدي على ألفاظ النصوص مع إعمال معانيها، فالجمود على اللفظ ظاهرية غير محمودة، والتوسع في العلل والمعاني إهدار للأدلّة، والمواءمة بين الأمرين هو المسلك الوسط، وهو الصواب والقسط، ولابن القيم في كتابه الفذ «إعلام الموقعين» نقدات ووقفات مع أخطاء الفريقين، تشد إليها الرحال، وتكتب بماء العيون لا الذهب، واللّه الموفق.

(3) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٤٨)، وأطلق عليهم في تتمة كلامه بأنهم -أي: المقتولين بأيدي المسلمين من المتترّس بهم- شهداء، قال: «ولا يترك الجهاد الواجب لأجل من يقتل شهيداً، ومن قتل -وهو في الباطن لا يستحق القتل- لأجل مصلحة الإسلام؛ كان شهيداً».

«أراد -أي: البخاري- أن يُلْحِقَ بقاتل نفسه قاتلَ غيره من باب الأولى؛ لأنه إذا كان قاتلُ نفسه الذي لم يتعدَّ ظلم نفسه ثبت فيه الوعيد الشديد؛ فأولى مَنْ ظَلَم غيرَه بإماتة نفسه»[1].

فإذا كان الأعظم إثماً، وقتل الأكثر عدداً جائزاً في هذه الصورة لمعنىً -وهو: تفادي الضرر الشديد-؛ فإنه من باب أولى يجوز الأخف وزراً، وقتل الأقل عدداً[2]، إن تحققت العلّة والضرر نفسه، أو ما هو أشد منه، واللّه الموفق.

ويلحق بهذا المعنى ما ذكره العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه اللّه- في «فتاويه»[3]، قال:

«الفرنساويون في هذه السنين تصلبوا في الحرب، ويستعملون «الشرنقات»[4] إذا استولوا على واحد من الجزائريين، ليعلمهم بالذخائر والمكامن، ومن يأسرونه قد يكون من الأكابر، فيخبرهم أن في المكان الفلاني كذا وكذا.

---

(1) «فتح الباري» (3/ 227).

(2) مع مراعاة الفرق بين الأمرين، وهو في نظري غير جوهري ولا مؤثر في الحكم الشرعي، وهو: أن الكفار هم الذين عرضوا الترس البشري من المسلمين للخطر، بينما في هذه العمليات يكون القائم بها هو المعرض نفسه للهلاك، والعلة الجامعة في الصورتين «قتل مسلم لدرء ضرر لا يندفع إلا بذلك»!

وذهب جمع من العلماء والمفكرين والمطلعين إلى «جواز هذه العمليات»، ومن الأعلام الذين يجوّزونها: الشيخ العلامة عبداللّه بن حميد «قاضي قضاة مكة سابقاً»، والدكتور الشيخ وهبة الزحيلي، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، نقله عنهما نواف هايل التكروري في «العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي» (ص 87-88)، وأستاذنا الدكتور علي الصوا، والدكتور همام سعيد، وفتواهما في جريدة «السبيل» الأردنية (العدد 121)، السنة الثالثة، آذار (1996م)، والدكتور عجيل النشمي، وعبدالرزاق الشايجي، كما في مجلة «المجتمع»، العدد الصادر في 19/ 3/ 1996م، وشيخ الأزهر سابقاً محمد السيد طنطاوي، كما في جريدة «السفير»، العدد الصادر في 10/ 4/ 1997م.

(3) (6/ 207-208 رقم 1479).

(4) هي ما تسمى في بلاد الشام بـ«الشرنجة»؛ وهي: الحقنة التي يكون بها الدواء، وكان الفرنسيون على حقن هذه «الشرنقات» في أسرى المسلمين من المجاهدين؛ لانتزاع الاعترافات منهم، بأسلوبٍ مؤذٍ خبيث.

وهذه الإبرة تسكره إسكاراً مقيداً، ثم هو -مع هذا- كلامه ما يختلط، فهو يختص بما يبينه بما كان حقيقة وصدقاً.

جاءنا جزائريون ينتسبون إلى الإسلام يقولون: هل يجوز للإنسان أن ينتحر مخافة أن يضربوه بالشرنقة، ويقول: أموت أنا وأنا شهيد -مع أنهم يعذبونهم بأنواع العذاب-؟

فقلنا لهم: إذا كان كما تذكرون فيجوز، ومن دليله: «آمَنَّا برَبِّ الغُلام»، وقول بعض أهل العلم: إن السفينة... إلخ. إلا أن فيه التوقف من جهة قتل الإنسان نفسه، ومفسدة ذلك أعظم من مفسدة هذا، فالقاعدة محكمة، وهو مقتول ولا بد»[1] انتهى.

قلت: قوله: «وقول بعض أهل العلم: إن السفينة...»؛ يريد: مثالاً مشهوراً في كتب الفقه، يؤكّد ما نحن بصدده من إعمال (المعاني)، وهذه نصوص من كتب العلماء توضح المومأ إليه:

جاء في «المدونة»[2] للإمام مالك: «-(أي: سحنون يسأل ابنَ القاسم، تلميذَ الإمام مالك)- أرأيتَ السفينةَ إذا أحرقها العدوُّ وفيها أهلُ الإسلام، أكان «مالكٌ» يَكرَهُ لهم أن يطرحوا بأنفسهم؟ وهل يراهم قد أعانوا على أنفسهم؟ قال: بلغني أنَّ «مالكاً» سُئل عنه، فقال: لا أرى به بأساً، إنَّما يفرّون من الموت إلى الموت! قال ابنُ وَهْب: قال ربيعةُ: أيُّما رَجُلٍ يَفِرُّ من النار إلى أمر يعرِف أنَّ فيه قَتْلَه، فلا ينبغي له، إذا كان إنما يفرُّ من موت إلى موت أيسرَ منه، فقد جاء ما لا يَحِلُّ له، وإنْ كان إنما تحاملَ في ذلك رجاءَ النجاة... فكلُّ مُتحامل لأمر يرجو النجاة فيه فلا جُنَاحَ عليه، وإنْ عَطِبَ فيه.

قال: وبلغني عن ربيعةَ أنه قال: إنْ صبر؛ فهو أكرمُ -إن شاء اللّه-».

---

(1) انظر في مسألة «قتل المسلم نفسه إذا تيقّن من الوقوع في أسر العدو» أو من «أجل التخلُّص من التعذيب»: «الجهاد والفدائية في الإسلام» ص ١٦٧) لحسن أيوب، «الجهاد والقتال» لمحمد خير هيكل (٢/ ١٤٠٣)، «الموسوعة الطبية الفقهية» (١٠٥) لأحمد كنعان. قال أبو عبيدة: الراجح بقوّة حرمة قتل الإنسان نفسه إذا وقع أسيراً، أو خشي من تعذيب العدو له، واللّه الموفق لا ربّ سواه.

(2) (٢/ ٢٥).

وقال ابن جزي: «وقد اختُلف في المركب يُلقى عليه النارُ، هل يُلقي الرجلُ نفسَه ليغرق أم لا؟ وأمَّا إنْ قوتل فلا يُغرق نفسَه، بل يقف للقتال حتى يموت»[1].

وقال الدردير: «وجاز انتقالٌ من سبب موت لآخر؛ كحرقهم سفينة إن استمرَّ فيها هلك، وإن طَرَحَ نفسَه في البحر هلك، ووجب الانتقالُ إن رجا به حياةً، أو طولَها، ولو حصل له معها ما هو أشدُّ من الموت! لأنَّ حفظ النفوس واجبٌ ما أمكن!»[2].

وعَلَّقَ الدُّسُوقي على ما سبق، فقال: «فَرضُ المسألة استواءُ الأمرين؛ أي: يعلمُ أنه إنْ مكث (أي: في السفينة المحترقة) مات حالاً، وإنْ رمى نفسَه في البحر مات حالاً، وأمَّا إنْ علم أنه إنْ نزل البحر مكث حياً، ولو درجةً، أو ظنَّ ذلك، أو شَكَّ فيه! وإنْ مكث (أي: في السفينة المحترقة) مات حالاً: وجب عليه النزولُ في البحر!»[3].

وقال ابن قدامة المقدسي الحنبلي: «وإذا ألقى الكفارُ ناراً في سفينة فيها مسلمون، فاشتعلت فيها، فما غلب على ظنهم السلامةُ فيه من بقائهم في مركبهم، أو إلقاء نفوسهم في الماء؛ فالأولى لهم فِعلُه، وإن استوى عندهم الأمران، فقال أحمد: كيف شاء يصنع. قال الأوزاعي: هما مَوْتتان، فاختر أيسرَهما! وقال أبو الخَطَّاب: فيه روايةٌ أخرى: أنهم يلزمهم المُقام؛ لأنهم إذا رَمَوْا نفوسَهم في الماء كان موتُهم بِفِعلهم، وإن أقاموا فموتهم بفعل غيرهم»[4].

ومما يؤكد إعمال (المعاني) في هذا

---

(1) «قوانين الأحكام الشرعية» (ص ١٦٥).

(2) «الشرح الكبير» (٢/ ١٨٣-١٨٤)، وقال محمد عليش في «منح الجليل» (٣/ ١٦٥): «وجاز لمن يتيقّن الموت، وتعارضت عليه أسبابه انتقال من سبب موت؛ كحرق مركب هو بها، لسبب آخر؛ كطرح نفسه في بحر مع عدم معرفة عَوْمٍ، ووجب الانتقال إن رجا به -ولو شكاً- حياةً مستمرة، أو طولها، ولو يحصل له ما هو أشد من الموت المعجَّل؛ لأنَّ حفظ النفس واجب ما أمكن».

(3) «حاشية الدسوقي» (٢/ ١٨٤).

(4) «المغني» (١٠/ ٥٥٤-٥٥٥)، وانظره مع «الشرح الكبير» (١٠/ ٣٨٩).

الباب: ما ذكره العز بن عبدالسلام في اختلاف الإثم في قتل النفوس، قال بعد كلام:

«وليس مَن قتل فاسقاً ظالماً من فُسَّاق المسلمين بمثابة مَن قتل إماماً عدلاً، أو حاكماً مقسطاً، أو والياً منصفاً؛ لما فوَّته على المسلمين من العدل والإقساط والإنصاف، وعلى هذا حَمَل بعضُهم قوله -تعالى-: ﴿مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة: ٣٢].

لَمّا عَمَّتِ المفسدةُ في قتل أحد هؤلاء؛ جُعِلَ إثمُها كإثم مَنْ قتل الناسَ جميعاً؛ لِمَا فَوَّتَهُ على الناس من مصالح بقائه، ولَمَّا عمَّت المصلحةُ في إنقاذ ولاة العدل والإقساط والإنصاف من المهالك؛ جُعِل أجرُ مُنْقِذِها كأجر من أنقذ الناس من أسباب الهلاك جميعاً؛ لعموم ما سعى فيه من المصالح».

وكذلك قوله:

«وليس قطعُ العالم أو الحاكم أو المفتي أو الإمام الأعظم لسان نفسه، كقطع من لا يُنتَفَعُ بلسانه لسانَ نفسِه».

قال:

«والمدارُ في هذا كله على رُتَب تفويت المصالح وتحقيق المفاسد، فكل عضوٍ كانت منفعتُه أتَمَّ؛ كانت الجنايةُ عليه أعظمَ وزراً، فليست الجنايةُ على العقل واللسان كالجناية على الخناصر والآذان».

قال:

«من قتل إماماً عَدْلاً، أو حاكماً مُقسِطاً، أو مفتياً مُبرِّزاً؛ كان عليه إثم القتل، وإثم ما فوَّت على المسلمين مما كانوا يقومون به من جَلْب المصالح ودَرْء المفاسد».

قال:

«وكذلك من قتل أباه؛ أَثِمَ إثْمَ القتل وإثْمَ العقوق؛ لتحقيقه المفسدتين بفعل واحد»[1].

وللبحث بقية . . .

(1) «قواعد الأحكام» (١/ ١٨٠، ١٨١-١٨٢ - ط. القلم).

❖الحلقة الأولى

آداب الطعـام في الشريعة المطهرة

● بقلم: الأستاذ الحارث بن زيدان المزيدي

سـئل رسـول الله ﷺ: أي الأديـان أحـب إلى الله -عَـزَّ وَجـَلَّ-؟ قـال: «الحنيفية». [«الأدب المفرد» (٢٨٧)]

ومـن سماحـة الإسـلام أنـه حقـق أمرين أصيلين:

الأول: بيّـن لـنا كـل الطرق الموصلة إلى الله -عَـزَّ وَجَلَّ-، فأراحنا من أن نبتدع نحن طرقاً لذلك.

الـثاني: لم يـترك شـأناً مـن شـؤون الحيـاة إلا ولـه فيـه توجيـه، يُرشد به إلى الأصلح، ويخالف به غيره من الملل فيعلو عـليه، حـتى لاحظ ذلك أحد الكفار فقال: قـد علمكم نبيكم كلَّ شيء حتى الخِراءة!، فقال سلمان الفارسي: أجل . . . [«مسلم» (٦٠٥)]

وهكـذا ديننـا الحـنيف يسـمو ويعلو عـند كـلِّ متأمِّل، حينما تتجلى له بعض حِكَمِـه وأسـراره، ويتـبين له أيضـاً أن الشارع لا يَأمُر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحـة، ولا يـنهى إلا عمّـا مفسـدته خالصة أو راجحة.

القواعد والأصول الجامعة:

القاعدة الأولى:

واعـلم -وفقـني الله وإياك- أنك إن كـنت قد قرأت بعض كتب الغربيين التي تدعـو إلى ضـبط النفس، وإلى حياة علمية -أمـثل وأنـتج-؛ فـإنك لن تجد اعظم مما في ديـنك الحـنيف إرشـاداً وتوجيهاً، دينياً ودنيوياً.

وفـيما يـأتي مـن كلام سنتناول بحثاً فقهيـاً ممتعاً، تغيب مفرداته عن الكثيرين،

ألا وهـو: (آداب الطعـام في الشـريعة المطهـرة)، معتمدين فيه على الأحاديث الصـحيحة والحسـنة -فقـط-، وأمـا الضعيفة فلا نحتج بها، لا في الأحكام -كمـا هـو معـروف- ولا في فضـائل الأعمـال -كمـا هـو الصحيح- (مع قيدٍ لهـذا الإطـلاق سـيأتي)؛ لأن الحديـث الضـعيف يفيـد الظن المرجوح، ونبينا ﷺ يقـول: «إيـاكم والظـن؛ فإن الظن أكذب الحديث». [«البخاري» (٦٠٦٦)]

إذن النبي ﷺ يُحذرنا من الظن، والمراد -بلا شك- الظن المرجوح، كسوء الظن.

وعـلى هـذا؛ فـلا عـبرة بـالحديث الضـعيف؛ لأنـه من الظن المرجوح الذي حذرنـا منه النـبي ﷺ، ووصـفه بـأكذب الحديث؛ أي: أنه لا يُعتمد عليه.

ولقـد اختـار هـذا المذهـبَ شـيخُ الإسـلام ابـنُ تـيمية، والإمـامُ الشـاطبيُّ، وذكـر أن الضـعيف المشتمل على عمل لم يـأت له دليل صحيح لعينه: لا يُعمل به، وانظر مقدمة «صحيح الترغيب».

والبحث يتكون من عشرين باباً هي:
(١) أحـوال الآنيـة. (٢) مكـان الأكل. (٣) هيـئة الجـلوس. (٤) الاجـتماع عـلى الطعـام. (٥) إطعـام الخـادم. (٦) اجتـناب الأكـل الفـوار. (٧) التسـمية الصحيحة. (٨) الأكـل بالـيمين. (٩) الـبدء بإعطـاء الجديـد لـلطفل. (١٠) استخدام الوسائل المتاحة للأكـل. (١١) الأكـل من الجوانب ومـا يـلي. (١٢) إذا وقع شيء من الطعام. (١٣) عـدم التـنفس أو الـنفخ في الإنـاء. (١٤) التـلذذ بأصناف الطعـام وذم الشـبع المسـتمر. (١٥) لا صـلاة بحضـرة طعـام. (١٦) لعـق الأصـابع. (١٧) بعـد الانـتهاء مـن الطعـام. (١٨) تغطيـة الأوانـي. (١٩) آداب الضـيافة. (٢٠) بعـض أحكام الخمر. (٢١) إطعام الطعام. ومن ثم الخاتمة.

والآن نترككم والبحث:

١) **أحـوال الآنيـة:** ينـبغي عـلى المسـلم أن يُحسن اختيار آنيته التي فيها ما سيكون في بطنه؛ فلا يطبخ ويأكل في آنية غـير المسـلمين؛ فإن كان ولا بدَّ فلا بأس باسـتعمالها، بشـرط أن تكـون جديدة، أو مغسـولةً نظيفـةً؛ لأنَّ هؤلاء لا يتحرزون عـن الخـبيث المحـرم؛ كالخنزير، واستعمال دهنه، وعن الخمر.

ولقـد لاحـظ هـذا أحـد الصـحابة، فقـال للرسول ﷺ: إنا نُجاور أهل كتاب

(يهود ونصارى) وهم يطبخون في قدورهم الخنزير، ويشربون في آنيتهم الخمر؟ فقال: «إن لم تجدوا غيرها؛ فارضحوها بالماء، وكلوا واشربوا».

وعلى هذا؛ إن علِمَ المسلم أن رجلاً كافراً يطبخ الخنزير في القدر، أو على الشواء، ثم يكتفي بمسحه ولا يغسله قبل أن يضع عليه اللحم الآخر -كالبقري-؛ فعلى المسلم أن لا يأكل من هذا اللحم البقري؛ لأن النبي ﷺ اشترط غسل هذا القدر. . .

وهذا إن كانوا يستعملونها فيما ذكر من الخبائث، وإلا فلا بأس من استعمالها مطلقاً؛ لما قال جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، فنصيب من آنية المشركين وأسقيتهم؛ فنستمتع بها؛ فلا يعيب ذلك عليهم. [ص.د (٣٨٣٨)]

أما الإناء؛ فليراعِ أن يكون سالماً غير مكسور، فعن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال:

نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من ثُلمة القدح، [ص.د (٣٧٢٢)]، وقال أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

نهى أن يُشرب من كِسْرِ القَدَح [«الصحيحة» (٢٦٨٩)]، والنبي ﷺ نهى عنه؛ لأنه لا يتماسك فم الشارب عليها، وربما انصب الماء على ثوبه ويده.

وقيل: لأن موضعها لا يناله التنظيف التام إذا غسل الإناء. [«الصحيحة» (٢٦٨٩)]

وأيضاً ربما جرح فم الشارب.

وليجتنب ما نهى عنه ﷺ وحرمه، وهو الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة على الرجال والنساء؛ قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة . . . فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة». [«البخاري» (٥٦٣٣)]

إذن هي آنيةُ المؤمنين في الجنة فمن آثر استعمالها في الدنيا ولم يتب «لم يشرب (بها) في الآخرة». [«مسلم» (٥٣٥٨)]

وقال رسول الله ﷺ محذراً: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم». [«البخاري» (٥٦٣٤)]؛ أي: يصب في بطنه نار جهنم.

٢) مكان الأكل: إن من المستحسن الأكل على سفرة على الأرض، وهذا أفضل من الطاولة؛ لأسباب سبعة:

١- لا خوف من وقوع شيء وكسره.

٢- سهولة التحرك والمناولة.

٣- التجمع والتقارب والتشارك أكثر على الطعام.

٤- الأكل على الأرض أسهل للتنظيف؛ إذ الوسخ واحد، وأما الطاولة ففوق وتحت.

٥- الأكل على الأرض أكثر يُسْراً وتواضعاً، وبعداً عن الكبر والترفع عما خُلقنا منه.

٦- الاقتداء بأفضل البشر وأعلمهم بالخير، إذ ما عَلِمْنا أنه ﷺ أكل على طاولة، مع توفر صناعتها، بل إن من كمال تواضعه أنه: ما أكل على خِوَانٍ، ولا سُكُرُّجةٍ؛ بل كانوا يأكلون على السُّفرِ. [«البخاري» (٥٣٨٦)، و ص جه (٣٣٥٥) -واللفظ له-]

الخوان: ما يوضع عليه الطعام ليؤكل.

السكرجة: الصفحة التي يوضع فيها الطعام.

السفرة: ما يُبسط عليه الأكل.

وكلاهما -أي: الأرض والطاولة- جائز، والأرض أفضل.

٣) هيئة الجلوس: ينبغي للآكل أن يختار الجِلْسَةَ السليمة المريحة، فلا يأكل متكئاً، ولا منبطحاً، ولا يشرب وهو قائم.

أما الاتكاء؛ فلقد قال رسول الله ﷺ مرشداً للأفضل، وداعياً للاقتداء به: «إني لا آكل متكئاً» [«البخاري» (٥٣٩٨)].

والظاهر: أن الاتكاء هو إسناد الظهر إلى شيء، أو وضع إحدى اليدين على الأرض.

ومعنى الحديث -والله أعلم-: أني إذا أكلت لم أقعد من الأرض على الأوطية والوسائد، فِعْلَ من يريد أن يستكثر من الأطعمة، ويتوسع في الألوان، والنبي ﷺ بعث في العرب،

وعاداتهم أوسط العادات، ولم يكونوا يتكلفون تكلف العجم، ولا أحسن لأصحاب الملة من أنْ يتبعوا سيرة إمامهم في كل نقير وقطمير. [«التعليقات الرضية» (٣/ ٨٣)]

أمَّا الانبطاح؛ فهو أن يأكل المرء وهو نائم على بطنه ووجهه، ولقد نهى رسول الله ﷺ عنه. [ص جه (٣٤٣٣)]

وبالتجربة؛ ثبتَ أنّه يمنع الإحساس بالاستمراء والراحة.

أما الشرب؛ فلقد ثبت عنه ﷺ أنه: نهى أن يشرب الرجلُ قائماً. سئل راوي الحديث- وهو أنس- عن الأكل؟ فقال: ذلك أشر وأخبث. [«مسلم» (٥٢٤٣)]

ذلك لأن الشراب إذا شربه الإنسان على حال السكون والطمأنينة؛ كان أنجع في البدن، وأمرأ في العروق.

إذا شربه على غير ذلك؛ فقد يؤدي إلى اضطراب في المعدة وتخضخض، فكان منه الفساد وسوء الهضم. [«فتح المنان» (تحت رقم٢٢٦٦)]

والقعود أقرب إلى السكون من القيام.

وأيضاً؛ الذي يشرب قائماً سَمَحَ للشيطان بالشرب معه، ولقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً يشرب قائماً فقال له:

«قئ». قال (الرجل): لِمَ؟ قال ﷺ: «أتحب أن تشرب مع الهر؟!». قال (الرجل): لا، فقال ﷺ:

«فقد شرب معك شَرٌّ منه: الشيطان» [«الدارمي» (٥٠٥٢)، و«الصحيحة» تحت حديث (١٧٥)]

«قئ»: أخرج ما شربته.

ولقد ثبت أنه ﷺ شرب قائماً للحاجة وغيرها، ممّا يدل على أن الشرب قائماً ليس حراماً؛ ولكن مكروه.

وعلى المسلم أن يحرص على هذه السُّنَّة التي غفل عنها الكثيرون، ولقد رآني رجل كبير السن أتقصد الشرب قاعداً، فسألني عن السبب؟ فذكرت له أنها السنة، فتبسمَ مستغرباً.

فانظروا كيف غابت هذه السنة المشهورة في كتب السُّنَّة كـ«صحيح مسلم» وغيره عن هذا الكبير، ولا غرابة لأنه

وأمثاله يعتبرون هذه السنن من الفروع، أو ما يسميه البعض: قشوراً.

فأين منهجه هذا مِن قوله -تَعَالَى-:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٥٩] وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢]؛ ولم يفرق بين فروع وأصول؟! فالحمد الله الهادي.

إذن السنة في الشرب الجلوس.

وأما الأكل؛ فلم يأت عن النبي ﷺ نهي؛ ولكن عن الصحابي أنس راوي الحديث؛ وهو أهل للاقتداء.

والجلوس الصحيح المستحب:

١- الجثو على الركبتين والقدمين (كجلسة التشهد)؛ هكذا فعل ﷺ حينما أهديت (له) شاة، فجثى . . على ركبتيه يأكل، فقال أعرابي: ما هذه الجِلْسَةُ؟! فقال ﷺ: «إنّ الله جعلني عبداً كريماً، ولم يجعلني جباراً عنيداً». [ص جه (٣٣٢٦)]

أو:

٢- أن ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى؛ كما قال العلماء، انظر: «الفتح» (٥٣٩٨).

٤) الاجتماع على الطعام:

إن مما يحبه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وحث عليه رسوله ﷺ، وبه تتنزل البركات في الأقوات؛ قول الرسول ﷺ: «أحب الطعام إلى الله: ما كثرت عليه الأيدي» [«الصحيحة» (٨٩٥)]

ولقد قال أحد الصحابة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! إنّا نأكل ولا نشبع؟ فقال ﷺ: «فلعلكم تأكلون متفرقين؟».

قالوا: نعم، قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه؛ يبارك لكم فيه». [ص.جه (٣٣٤٩)]

هذه الإرشادات النبوية لا أدري ما يعتبرها البعض؟ وربما يقول: مضى عليها الدّهر؛ لقلة يقينه وحبه لنبيه!! وأما غيره فيتشبث بها.

٥) إطعام الخادم:

وينبغي على المسلم إذا جاءه الخادم بالطعام أن يجلسه معه، فإن أحس بحرج منه في ذلك فليعطه منه؛ أي: يعطيه حصة من الطعام قبل الأكل، وهذا من كمال الشعور بالآخرين مهما كانت مرتبتهم، وهكذا علمنا رسول الله ﷺ بقوله: «إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامه؛ فإن لم يُجلسه

معه؛ فليناول أُكْلَةً أو أُكْلَتين، أو لقمة أو لقمتين؛ فإنه ولَيَ حره وعلاجه». [«البخاري» (٥٤٦٠)]، وفي رواية: «قد وليَ حره ومشقته ومؤنته». [«الصحيحة» (١٢٨٥)]

ففي هذا الحديث الحث على التواضع، ومكارم الأخلاق، والمساواة في الطعام، لا سيّما مع من صنعه أو حمله؛ لاحتمال تعلق نفسه به [«فتح المنان» تحت (٢٢٠٨)]، ولتسكن نفسه بذلك.

* فصل: ما ينبغي تجاه الخادم:

١-أن يُلبسه الجيد من اللباس، لا القديم المهترئ: «وألبسوهم مما تلبسون». [رواه مسلم]

٢- وأن لا يعاملهم معاملة الآلة التي لا تَمَلُّ ولا تَكِلُّ: «لا تكلّفوهم ما يغلبهم؛ فإن كلفتموهم فأعينوهم». [«مسلم» (٤٢٨٩)]

٣- وأن لا يدعو عليهم إذا غضب: «ولا تدعوا على خدمكم». [ص د (١٥٣٢)]

٤- وأن يعفو عنهم كثيراً؛ فإن الأعمال كثيرة، والذهن يذهل.

سأل رجل رسول الله ﷺ: كم نعفو عن الخادم؟ قال: «اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة». [ص د (٥١٦٤)]

٦) الأكل الحار الفوار:

هل أدلكم على مصدر بركة، غفل عنه الكثيرون؟! أن يحضر الإنسان الطعام وهو ساخن -لا وهو فوار- كأنه على النار، ولقد كانت أسماء بنت أبي بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْها- إذا أُتِيَتْ بثريد أَمَرَتْ به فَغُطِّيَ؛ حتى يذهب فوره ودخانه، وتقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هو أعظم للبركة»، صحيح [انظر «فتح المنان» (٢١٨٠) تخريج أحاديث « الدارمي»].

وأيضاً قال أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: (لا يؤكل الطعام حتى يذهب بخاره). [هق (١٤٦٣١)، و«الإرواء» (١٩٧٨)]

مسألة: معروف أن بعض المشروبات لا تشرب إلا وهي حارة جداً، (كالشاي) وغيره، فما الحل؟

الجواب: فلينتظر على الأقل حتى يذهب بخاره، ثم ليشربه -ولو كان حاراً- هنيئاً مريئاً.

وللبحث بقية . . .

❖الحلقة الرابعة

الأحكام التي تتميز بها المرأة عن الرجل

• بقلم: الشيخ خير الدين وانلي

٧ـ صفوف النساء:

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رسول الله ﷺ قال: «خيرُ صفوفُ الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها»[١].

[رواه الجماعة إلا البخاري]

وعن أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أن جدته مُليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته، فأكل منه، ثم قال: «قوموا فَلْنُصَلِّ بكم»، قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسودَّ من طول ما لُبس، فنضحته بالماء، فقام عليه رسول الله ﷺ، وصففت عليه أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى بنا ركعتين ثم انصرف[٢].

(١) قال السيد سابق في «فقه السُّنَّة» (١/ ٢٤٣): «وإنما كان خير صفوف النساء آخرها لما في ذلك من البعد عن مخالطة الرجال، بخلاف الوقوف في الصف الأول؛ فإنه مظنة المخالطة لهم».

(٢) رواه الشيخان والترمذي. وفي رواية عند مسلم والنسائي: «أنه كان هو ورسول الله ﷺ وأمه وخالته، فصلّى رسول الله ﷺ فجعل أنساً عن يمينه، وأمه خلفهما».

٨- تصفيقها في الصلاة:

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّسبيحُ للرجالِ، والتَّصفيق للنساء»[١].

وعنه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استؤذن على الرجل وهو يصلي؛ فإذنه التَّسبيحُ، وإذا استؤذن على المرأة وهي تصلي؛ فإذنها التصفيق»[٢].

وعن سهل بن سعد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، وحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبي بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فقال: أتصلي بالناس فأقيم؟ قال: نعم. فصلى أبو بكر، فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة؛ فتخلّص حتى وقف في الصف، فصفّق الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة، فلما أكثر الناسُ التَّصفيقَ التفتَ، فرأى رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن امكث مكانك، فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك، ثم استأخر أبو بكر، حتى استوى في الصف، وتقدمَ رسول الله ﷺ فصلى؛ فلما انصرفَ قال: «يا أبا بكر! ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟»، فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يُصَلِّي بين يدي رسول الله ﷺ! فقال رسول الله ﷺ: «ما لي رأيتكم أكثرتم مِنَ التَّصفيح؟ فمن نابه شيءٌ في صلاته فليسبح، فإنه إذا سبح التُفت إليه، وإما التصفيح للنساء»، رواه الشيخان وأبو داود.

وفي رواية: «إذا نابكم شيءٌ في الصلاةِ؛ فليسبح الرجالُ، وليصفّح النساء».[٣]

---

(١) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي. واستنبط منه بعضهم أن صوتها عورة؛ لكن حجج خصومهم أقوى.

(٢) رواه البيهقي، وصحّحه شيخنا في «الأحاديث الصحيحة» (٤٩٧).

(٣) رواه البخاري وأبو داود، وقال: «قال عيسى بن أيوب: التصفيح للنساء؛ تضرب بأصبعين من يمينها على كفها اليسرى». وقال شيخنا في «صحيح أبي داود» (٨٣١): «صحيح مقطوع».

٩ - انصرافهنَّ بسرعةٍ بعد انقضاءِ الصلاةِ قبل الرجال:

عن أم سلمة -رَضِيَ اللهُ عَنْها-، قالت: كان رسول الله ﷺ يمكث في مكانهِ يسيراً؛ وكانوا يرون أن ذلك كيما ينفذ النساء قبل الرجال.(١)

وعن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها-، قالت: كان النساء يصلين مع رسول الله ﷺ الفجر، فكان إذا سلّم؛ انصرفنَ متلفعات بمروطهن، فلا يُعرفن من الغَلَس. [رواه الشيخان والنسائي]

١٠ - الخطابة:

المرأة لا تخطب في الرجال؛ لأنَّ من تصح منه الخطبة هو الإمام الذي يُصلي بالناس رجالاً ونساءً، والمرأة لا تصلح لذلك، أما خطبتها بالنساء فجائزة كصلاتها بهنَّ.

١١ - تركُ الحائضِ الصلاة ونقص دينها:

عن أم سلمة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- قالت: كانت المرأة من نساء رسول الله ﷺ تقعد من النفاس أربعين ليلةً لا تصلي، ولا يأمرها النبي ﷺ بقضاء صلاة النفاس.(٢)

وعن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- قالت في المرأة الحامل ترى الدم، أنها: تدعُ الصلاة.(٣)

وعن أم سلمة -رَضِيَ اللهُ عَنْها-: أنها استفتت النبي ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش فقال:تدع الصلاة قدر أقرائها، ثم تغتسل وتصلي(٤).

قال صديق حسن خان: «والحائض: لا تصلي، ولا تصوم، ولا توطأ حتى تغتسل؛ وتقضي الصيام».(٥)

شيخنا في «صحيح أبي داود» (٨٣١): «صحيح مقطوع».

(١) أخرجه البخاري وأبو داود -واللفظ له- والنسائي؛ ولكن البخاري جعل قوله: «وكانوا يرون . . .» مدرجاً من قول الزهري.

(٢) أخرجه أبو داود، وحسّنه شيخنا في «صحيح أبي داود» (٣٠٥)، وسيأتي بتمامه.

(٣) أخرجه مالك بلاغاً.

(٤) أخرجه أبو داود والدارقطني والبيهقي وأحمد، وصححه شيخنا في «الإرواء» (٢١١٩).

(٥) «حسن الأسوة» (٢/ ٣٦٢). قلت: وقد فسّر الحديث -الذي رواه مسلم، وأبو داود، عن ابن عمر- نقص دينها بأنها تفطر رمضان، وتقيم أياماً لا تصلي، ولفظ الحديث: «ما رأيت من ناقصاتِ عقلٍ ولا دين أغلب لذي لب منكن، أمّا نقصان العقل؛ فشهادة امرأتين

١٢ - عدم قضاء الصلاة للنفساء والحائض:

عن الأزدية -وتكنى أم بُسَّة-، قالت: حججت، فدخلت على أمِّ سلمة، فقلت: يا أمَّ المؤمنينَ! إن سَمُرَة ابن جندُب يأمر النِّساء أن يقضين صلاة الحيض؟! فقالت: لا يقضين؛ كانت المرأة من نساء رسول الله ﷺ تقعد من النفاس أربعين ليلةً، ولا يأمرها النبي ﷺ بقضاء صلاة النفاس.(١)

وعن معاذة، أن امرأة سألت عائشة: أتقضي الحائض الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ لقد كنا نحيض عند رسول الله ﷺ فلا نقضي ولا نؤمر بالقضاء.(٢)

١٣ - اعتزال النساء في المسجد عن الرجال:

عن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تركنا هذا الباب للنساء»، قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات.(٣)

١٤ - قيام الليل مع إمام في رمضان:

وعن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها-، قالت: كان إذا دخلت العشر أحيا رسول الله ﷺ الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر. [متفق عليه]

وعن أبي ذر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قال: صُمْنا مع رسول الله ﷺ رمضان، فلم يقم بنا النبيُّ ﷺ حتى بقي سبع من الشهر، فقام بنا حتى ذهب نحو من ثلث الليل، ثم كان سادسة فلم يقم بنا، فلمّا كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب نحو شطر الليل، قلنا: يا رسول الله ! لو نفّلتنا قيام هذه الليلة، قال: «إن الرجل إذا صلّى مع الإمام حتى ينصرف؛ حُسب له قيام ليلة»! قال: ثم كانت الرابعة فلم يقم بنا، فلما بقي ثلاث من الشهر؛ أرسل إلى بناته، ونسائه، وحشد

بشهادة رجل، وأمّا نقصان الدين؛ فإن إحداكن تفطر رمضان، وتقيم أياماً لا تصلي».

(١) أخرجه أبو داود . وحسّنه شيخنا في «صحيح أبي داود» (٣٠٥).

(٢) رواه الشيخان وأبو داود -وزاد هو ومسلم-: فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة.

(٣) أخرجه أبو داود، وصحّحه شيخنا في «صحيح أبي داود» (٥٣٤).

الناس، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، ثم لم يقم بنا شيئاً من الشهر. قلت: ما الفلاح؟ قال: السحور[1].

١٥ ـ التأخر في رفع الرأس من السجود:

عن أسماء بنت أبي بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان منكن يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا ترفع رأسها حتى يرفع الرجالُ رؤوسهم»؛ كراهة أن يرين من عورات الرجال.[2]

١٦ ـ دعوة الأم ولدها في الصلاة:

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قال: قال رسول الله ﷺ: «نادت امرأة ابنها وهو في صومعته قالت: يا جريج! قال: اللهم! أمِّي وصلاتي! قالت: يا جريج! قال: اللهم! أمِّي وصلاتي! قالت: يا جريج! قال: اللهم! أمِّي وصلاتي! قالت: اللهم! لا يموت جريج حتى ينظر في وجه الميامِيس!! وكانت تأوي إلى صومعته راعية ترعى الغنم، فولدت، فقيل لها: ممن هذا الولد؟ قالت: من جريج، نزل من صومعته، قال جريج: أين هذه التي تزعم أن ولدها لي؟! قال: يا بابوس، مَن أبوك؟ قال: راعي الغنم»[3].

١٧ ـ جمع الصلوات للمستحاضة:

عن حَمْنَة بنت جحش -رَضِيَ اللهُ عَنْها-، قالت: كنتُ أُستحاض حيضة كثيرة شديدة، فأتيت رسول الله ﷺ، فوجدته في بيت أختي زينب بنت جحش، فقلت: يا رسول الله! إني امرأة أُستحاض حيضة كثيرة شديدة، فما ترى فيها؟ قد منعتني الصلاة والصوم!

---

(١) رواه النسائي وابن ماجه، وصحّحه شيخنا في «صحيح النسائي» (١٢٩٢)، و«صحيح ابن ماجه» (١٣٢٧).

(٢) رواه أبو داود، وصحّحه شيخنا في «صحيح أبي داود» (٧٥٧).

(٣) رواه البخاري في أبواب: (العمل في الصلاة)، (باب: إذا دعت الأم ولدها في الصلاة).

والميامِيس: جمع مومسة بكسر الميم الثانية؛ وهي الزانية.

ومعنى (بابوس): الصغير أو الرضيع.

قال في «الفتح» (٣/ ٣٢٠): «حذف البخاري جواب الشرط، أي: هل يجب إجابتها أم لا؟ وإذا وجبت، هل تبطل الصلاة أو لا؟ وفي المسألة خلاف».

فقال: «أنعت لك الكُرْسُف؛ فإنه يذهب الدم»، قالت: هو أكثر من ذلك! قال: «فاتخذي ثوباً»، قالت: هو أكثر من ذلك، إنما هو أثجُّ[1] ثجاً! قال رسول الله ﷺ:

«سآمرك بأمرين أيهما فعلتِ أجزأ عنكِ من الآخر، وإن قويت عليهما؛ فأنت أعلم»، فقال لها: «إنما هذه ركضةٌ[2] من ركضاتِ الشيطانِ، فتحيَّضي ستةَ أو سبعةَ أيام في علم الله، ثم اغتسلي، حتى إذا رأيت أنكِ قد طَهُرْتِ واستنقيتِ؛ فصلي ثلاثاً وعشرين ليلةً، أو أربعاً وعشرين وأيامها، وصومي؛ فإن ذلك يجزئك، وكذلك فافعلي كلَّ شهرٍ، كما تحيض النساءُ، وكما يَطْهُرْنَ، لميقات حيضهنَّ وطهرهنَّ؛ وإن قويت على أن تؤخِّري الظهرَ وتُعَجِّلي العصرَ، فتغتسلين وتجمعين بين الصلاتين الظهرِ والعصرِ، وتُؤخرين المغربَ وتعجلينَ العشاءَ، ثم تغتسلينَ وتجمعينَ بين الصلاتين فافعلي، وتغتسلين مع الفجرِ فافعلي، وصومي إن قدرت على ذلك». قال رسول الله ﷺ:

«وهذا أعجب الأمرين إلي»[3].

(١) الثج: السيل؛ أرادت أنه يجري كثيراً.

(٢) الركضة: الضربة والدفعة.

(٣) أخرجه أبو داود -واللفظ له- والترمذي بنحوه، وحسّنه شيخنا في «صحيح أبي داود» (٢٦٧)

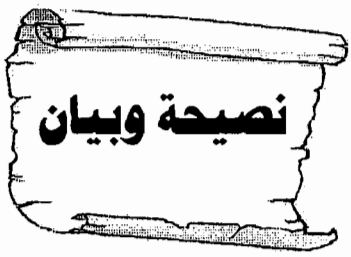

كلمةُ أصحابِ الفضيلةِ المشايخ:

-القائمين على «مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجيّة، والأبحاث العلميّة»- في واقعةِ الشيخ أبي الحسن المأربي، ومُخالفيه، وما أُخِذ عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وعلى آلهِ وصحبهِ ومَن والاه.

أمّا بعدُ:

فقد وَصَلَتْنا -كما وصلت غيرَنا- أخبارُ الخلافاتِ الجاريةِ بين فضيلة الشيخ أبي الحسن المأربيّ، وبعضِ إخوانهِ المنتقدين له -في اليمن-، ثم تطوُّرُ ذلك إلى ما هو أكبرُ منه -مِن ردٍّ لفضيلة الأستاذ الشيخ ربيع بن هادي المدخليّ عليه-، وما أعقبه من تعقُّبات، وتعليقات: في أشرطة، ورسائلَ، فضلاً عن صفحاتِ الإنترنت، وما تحملُهُ مِن كلماتٍ، ونَقَدات، واتّهامات.

ولقد جرى منّا تأنٌ مُوْعِبٌ في هذه القضيّة -وفي غيرها-، واستماعٌ لسائر جوانِبِهَا، وقراءةٌ لِجُلِّ ما كُتب فيها؛ وذلك بعد مواصلةٍ متكرّرةٍ مع عددٍ من أطرافها -وطلبٍ منهم-، وبخاصّةٍ فضيلةَ الأستاذ الشيخ ربيع بن هادي، وفضيلةَ الشيخ أبي الحسن المأربي -نفع اللهُ بهما-.

ولقد كان من كلمات الأستاذ الشيخ ربيع -حفظه اللهُ- في رسالتِهِ «الإعانة»- قولُهُ:

«ويجب أن تكون الأحكامُ على الناس قائمةً على الإنصاف، وبالموازين الشرعية الدقيقة».

وهي كلمةٌ عميقة، تلتقي وَجْهَ الحقيقة.

وقال -حفظه الله-في رسالته الأخيرة -حول «الجناية»- بعد بيانِه، وشرحِه-:

«فالمجال مفتوحٌ لمن يُريد الدراسةَ، ثم بيانُ ما يظهر له للمسلمين».

... فانطلاقًا من هذا التوجيه الحسن، واستجابةً لكلِّ حقٍّ تُدرَأُ به الفِتَن -وتطبيقًا لهذه الأُصول على الواقع-:

رأى إخوانُكم -طلبةُ العلمِ القائمون على (مركز الإمام الألباني للدراسات العلمية، والأبحاث المنهجيّة)- كتابةَ كلمةٍ جامعةٍ في هذه الفتنةِ، وما اتّصل بها، وما نَجَمَ عنها؛ لعلّها تُطفئها، وتمنعُ انتشارَها، وتَحُدُّ مِن آثارها.

وبخاصّةٍ أنّ اتصالاتٍ كثيرةً -جدًّا-وَرَدَتْنا -وتَرِدُنا- من شرق الدنيا وغَرْبِها؛ يسألُنا فيها أصحابُها عن رأينا فيما يجري، وعن موقفنا مِمّا يحدثُ؛ ولم يكن منّا -إلى هذه الساعةِ- إلاّ الصبرُ، والاصطبارُ، والمصابرةُ؛ حتى نُحيطَ جيّدًا بأطرافِ القضيّة، ونستوعبَ جيّدًا جوانبَها؛ ليكون حكمُنا عليها علميًّا -قائمًا على الحقّ والعدل-.

وأهمُّ مِن هذا -كُلِّه-: الحِرْصُ على دعوتنا السلفيّةِ المباركة -الّتي تلقّيناها عن مشايخنا الأعلام-المعاصرين-؛ ابن باز، والألبانيِّ، وابنِ عُثيمين -رحمهم اللهُ، وقدّس أرواحَهم، ونوّر ضرائحَهم-؛ وذلك خشيةَ أنْ ينحرفَ مَسَارُ هذه الدعوةِ عن جادّتِه، أو حَمَلَتُها عن أَصْلِ منهجِهم.

وليس يخفى أنَّ مِن أهمّ أُصول دعوتِنا السلفيّةِ الميمونةِ -هذه-: الاجتماعَ والاتفاقَ -على الكتاب والسنّة، ومنهج سلف الأُمّة-، وأنَّ المخالفَ لهذا الأصل مخالفٌ للتوجيهات القرآنيةِ الكريمةِ؛ الآمِرَةِ بالاعتصامِ، والتواصي بالحقّ، والتواصي بالصبر، وكذلك التعاونُ على البرّ والتقوى.

ومِن لوازم هذا -كلّه-وجوبًا- تقديمُ النصيحة للمخطئ -مهما كان، وأينما كان-، ونُصرتُه بالحقّ؛ ليرجعَ إلى الحقّ، وأعانُهُ على نفسِهِ وهواه؛ بتيسيرِ طريق الصواب له، وتذليلِه بين يَدَيْهِ؛ دونَ تمييعٍ يُميت الحقّ، ويُضَيِّعُ أهله، ومِن غير تعنُّتٍ يسدُّ جادّة الهدى أمامَ الراغبِ بها، والسالكِ دربَها.

ومِن لوازم ذلك -أيضًا- تذكيرُ مَن بغى -بغير حقّ-؛ لعلّه يُنصِفُ إخوانَه مِن نَفْسِه؛ كما يُحِبُّ أن يُنصفوه -هم- من أنفسِهم.

راجين من اللهِ -سبحانه وتعالى- أن يكونَ كلامُنا -هذا- مِفتاحَ خيرٍ، ومِغلاقَ شرٍّ، وأن يستوعبَ مقاصِدَنا الخيِّرةَ -فيه- مشايخُنا، وإخوانُنا، وأصحابُنا:

فما كان فيه صوابٌ: فمن الله -تعالى-.

وما كان فيه مِن خَطَإٍ: فَمِن أنفسِنا ومِن الشيطان.

وكلُّنا آذانٌ صاغيةٌ لتصحيحِ ما قد يَنِدُّ عنّا، وتقويمِ ما قد يبدُرُ منّا؛ بالحُجّةِ البيِّنة، والدليلِ الظاهرِ -مصحوبًا بالرِّفقِ، والشفَقةِ-.

فنقولُ -وباللهِ التوفيق-:

إنَّ ما أُخِذ على فضيلة الشيخ أبي الحسن المأربي -زادَهُ اللهُ توفيقًا- لا يَخرج -في نَظَر منتقديهِ- عن جملةِ قضايا أربع:

أ ـ ما له صلةٌ بالاعتقاد:

كبعض الألفاظ التي صَدَرَت منه حول شيءٍ من مواقف بعض أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-رضي الله عنهم-.

ويُلْحَق بهِ -أهمِّيَّةً- كلامُهُ حولَ سيِّد قُطب، وموقفُهُ ممّا يقولُهُ مِن وحدة الوجود.

ب ـ مسائلُ منهجيّة:

كمسألةِ ذِكر حسناتِ أهل البدع في موطن نقدهم والردّ عليهم -وهي ما عُرف بـ(منهج الموازنات)-.

ومسألةِ حمل القول المجمل على المفصَّل -فيما هو دون كلام الله -سبحانه-، أو رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

ومسألةِ الجرح والتعديل، وضوابطها، وما يتّصل بها في شأن مَن يُنسَب إلى (الفكر) أو (الدعوة) -وما أشبه ذاك-.

جـ - مسائل فقهيّة:

ممّا اختلَفَتْ فيها كلماتُ أهلِ العلمِ المعاصرين؛ بين المنع أو الجواز -مطلقًا-، أو بتقييد بعضِ ذلك -زمانًا، أو مكانًا، أو حالاً-حَسَبَ المصالح والمفاسد-؛ كمسألة الاختلاط بين الرجال والنساء -في الجامعة-، ومسألةِ التصوير الفوتوغرافيِّ، -ونحوِهما-.

د - ألفاظٌ، وعبارات:

ممّا تكلَّم فيه الشيخُ أبو الحَسَن ببعضِ مسائل العلمِ، وحُمل على معنًى -ما-، أو أوهم معنًى -ما-.

ومنه:

ما صَدَر منه بحقِّ بعض المنتقدين له من كلماتٍ وأوصافٍ، تحمل قوّةً وقسوةً؛ أُوخِذَ بها، واعتُرض عليه بشأنها.

... هذا مُجْمَلُ ما بَلَغَنا عِلْمُهُ، ووَصَلَتْنا معرفتُهُ.

وعلى ضوئِهِ نقول -مُستعينين باللهِ-:

- أمّا القضيّة الأُولى:

وهي ما يتعلّق بما قاله في بعض مواقف الصحابةِ -رضي الله عنهم-؛ فالقولُ فيها ما قاله سماحةُ أستاذنا العلامة الشيخ عبد المحسن العبّاد -حفظه الله، ومتّع به- مِن أنّه خطأٌ عبارةٍ، وليس غَلَطَ عقيدةٍ؛ لما هو معروفٌ عن الشيخ أبي الحسن من اتّباع لمنهج السلف، ونُصرةٍ لعقيدة السلف.

ورأسُ السلفِ ومُقَدَّمُوهم: هم أصحابُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-رضي الله عنهم-.

فهذا خَطأٌ -منه- ظاهرٌ؛ ولكنّه مِن بابةِ ما قيل -قديمًا-:

..... والحقُّ قد يعتريه سوءُ تعبيرِ

والصحابةُ -عليهم رضوانُ اللهِ-جيلُ القُدوة، وقرنُ الأُسوة- لا يُذكَرون إلا بالجميل، وتُنتقى -فيهم-بحقّهم- أرفعُ العبارات، وأجملُ الأقاويل -ضِمْنَ طريقةِ عُلماءِ أهل السّنة والجماعةِ-.

ثم كان من الشيخ أبي الحَسَن -وفّقه اللهُ- الرجوعُ عمّا قال، والتراجعُ عمّا قدّم.

وإتمامًا للفائدةِ؛ نسوقُ خُلاصةَ كلامِ أستاذنا الشيخ العبّاد -نفع اللهُ بعلومِه العِبَاد- بلفظِه- كما نَقَلَه عنه سامِعُه -منه-:

«هذا خطأٌ في التّعبير غير لائق، وهناك فرقٌ بين رجل من أهل السنة؛ يخطئ في التعبير - هذا لا يُقال عنه: إنّه ينتقص الصحابة! بل هذا خطأ في التعبير، وهو غير لائق-، وبين الرافضي يقصد التنقُّص».

ومثلُ ذلك -أيضًا- كلامُ الشيخ أبي الحَسَن حول سيد قطب:

فعندما راجعَ الشيخ أبو الحسن المنقولَ عن سيِّد قُطب -هذا-من كلماتٍ ظاهرة، وألفاظٍ بيِّنة- فيها ما يُثبت عليه وحدةَ الوجودِ -بصراحة-: أقرّ بذلك، وأذعن له، ورجع عمّا كان منه، بخلاف الذي صار إليه.

بل إنّه شكر الأُستاذَ الشيخَ ربيعًا المدخليَّ -حفظه الله- على بيانِه هذه القضيةَ الجليلةَ، وقوّةِ كلامِهِ فيها.

وتراجُعُ الشيخ أبي الحَسَن -عن هاتين المسألتين- كان واضحًا جدًّا؛ لا مُراوغةَ فيهِ، ولا لَبْسَ يعتريهِ.

ولم نَرَ أدلَّ على ظهورِ التراجع مِن لفظ (التراجع) -نفسه-.

- أما القضيّة الثانية:

وهي ما يتعلّق ببعض المسائل المنهجيّة -المذكورة-؛ فيُذكر فيها أُمورٌ ثلاثة:

أولها: أنَّ (منهج الموازنات) -وما يتبعُهُ من (قضيّة الجرح والتعديل)- من المسائل المعلومة عند علماء منهج السلف ودُعاته، وأنَّ بابها مُغْلَقٌ أمام أهل البدع، وما يلوحُ به من تزكيتهم، أو شيءٍ من الثناء عليهم؛ فلا تُذكَر حسناتُهم -إن وُجدت!-، ولا تُشهَر فضائلُهم -إن كانت!-!!

... ولا كرامة!

وقد ذكر هذا الأمرَ ووضّحه الشيخُ أبو الحسن -نفسُه- في مجالسِه الأخيرةِ، فضلاً عن كتابه: «السراج الوهاج» (برقم: ١٩٧) -بما لا نُكرّر معه كلامَه-.

ثانيها: هنالك جُمَلٌ وعباراتٌ ينقلُها الشيخ أبو الحسن من كتب التراجم، والجرح والتعديل، وفتاوى بعض أهل العلمِ؛ ممَّا يَحْسُنُ التوقُّفُ أمامَها، والتدقيقُ بها؛ لمعرفة مقاصد هؤلاء العلماء -فيها-،

أو مراميهم -منها-، لِتزدادَ مسألةُ (الموازنات) ضبطًا، ودِقّةً.

ثالثها: أنَّ تنزيلَ هذه المنهجيّة -تطبيقًا- يجب أن يكون منضبطًا، وينبغي أن لا ينخرم أو ينتقض، مَقْصُورًا القولُ فيه على خاصّةِ أهل العلم -الراسخين فيه-، دون المبتدئين، أو المتحمّسين!

والكلامُ حول (التقليد)، و(العَمَل بقولِ الثقةِ) له ضوابطُهُ، وقواعِدُهُ.

ولكنْ؛ إن وَقَعَ شيءٌ -المرّة، أو المرّتين- يخرِمُ تلك المنهجيّةَ، أو يخدِشُ بها؛ فيجبُ أن يكون النظرُ فيه بِحَسْبِهِ، لا تزيُّدَ فيه، ولا قياسَ عليه.

حتّى يُبيَّن للمخطئ خطؤه، وللغالطِ غَلَطُهُ.

أمّا أن نجعلَ الخطأَ في التطبيقِ -العمليّ- ناقضًا للأصلِ -المنهجيِّ-؛ فهذا لن يسلمَ منه أحد، مهما جدَّ واجتهد.

وأمّا مسألة حمل المجمل على المفصّل:

فالفصلُ فيها ما بيَّنَهُ الإمام السلفيُّ، شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة النُّمَيريُّ -رحمه اللهُ- في «الجواب الصحيح» (٤/ ٤٤) -حيث قال-:

«يَجِبُ أَنْ يُفَسَّرَ كَلاَمُ المُتَكَلِّمِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيُؤْخَذَ كَلاَمُهُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، وَيُعْرَفَ مَا -عَادَتُهُ- يَعْنِيهِ وَيُرِيدُهُ بِذَلِكَ اللَّفْظِ إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَتُعْرَفَ المَعَانِي الَّتِي عُرِفَ أَنَّهُ أَرَادَهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَإِذَا عُرِفَ عُرْفُهُ وَعَادَتُهُ فِي مَعَانِيهِ وَأَلْفَاظِهِ؛ كَانَ هَذَا مِمَّا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ مُرَادِهِ.

وأَمَّا إِذَا اسْتَعْمَلَ لَفْظَهُ فِي مَعْنًى لَمْ تَجْرِ عَادَتُهُ بِاسْتِعْمَالِهِ فِيهِ، وَتُرِكَ اسْتِعْمَالُهُ فِي المَعْنَى الَّذِي جَرَتْ عَادَتُهُ بِاسْتِعْمَالِهِ فِيهِ، وَحُمِلَ كَلاَمُهُ عَلَى خِلاَفِ المَعْنَى الَّذِي قَدْ عُرِفَ أَنَّهُ يُرِيدُهُ بِذَلِكَ اللَّفْظِ -بِجَعْلِ كَلاَمِهِ مُتَنَاقِضًا، وَتَرْكِ حَمْلِهِ عَلَى مَا يُنَاسِبُ سَائِرَ كَلاَمِهِ-: كَانَ ذَلِكَ تَحْرِيفًا لِكَلاَمِهِ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَتَبْدِيلاً لِمَقَاصِدِهِ، وَكَذِبًا عَلَيْهِ».

نقولُ: وهذا حقٌّ وصوابٌ.

نعم؛ لا يجوز اتِّخاذُ مثلِ هذه القواعدِ تُكَأَةً لِتُسَوَّغَ بها مقالاتُ أهل الضلال.

ولا ينبغي التهوينُ بها من شأن المخطئ؛ لكي يُصِرَّ على سُوءِ وضعِه، ولا يتراجعَ عن كبير خطئِهِ.

فضلاً عن جعلها ذريعةً فضفاضةً تُمَيَّعُ بها المواقف الشرعية، بأصولها المَرْعيّة.

أو أن تَؤُولَ سبيلاً يُمَرِّرُ به أهلُ البدع منهجَ موازناتهم المنقوض، وطريقَهم المرفوض.

- أما القضيّة الثالثة:

وهي بعض المسائلِ الفقهيةِ الاجتهاديّةِ -كالاختلاط، والتصوير، -وما أشبههما-:

فكلامُ الشيخ أبي الحسن -فيها- لا يُعارِضُ أصلَ التحريم والمنع -الذي نَدِينُ اللهَ به-، وإنّما هو مسوقٌ -منه- في حالةِ تزاحُم المصالح والمفاسد لأشخاصٍ مُعَيَّنين، في ظروفٍ خاصّةٍ.

فهي -والحالةُ هذه- كغيرها مِن مسائل العلم الخلافيّة؛ لا تُعالَج بالشدِّ والجذب، والتنفير والتحذير، وإنّما يكون المخرجُ الصحيحُ منها بالبحث العلميِّ؛ المبنيِّ على الدليل، والمترفِّع عن محض الأقاويل.

وللمجتهد فيها -بأهليّتِهِ- أجرانِ إن أصابَ، وواحدٌ إن أخطأَ.

مرتبطًا ذلك -كلُّه- بالقواعد المعتبرة، والمصالح المقرَّرة -وجودًا وعدمًا-.

فليس في هذا الترجيح -أو ذاك- ما يُؤاخَذُ عليه المُرَجِّحُ لأحدِ القولين، فيما ظهر له دليلُه، وبانت له حُجَّتُهُ؛ فضلاً عن أنْ يكونَ ذلك -منه- نقضًا لمنهجِهِ، أو طعنًا في سلفيّتِهِ.

نعم؛ استمرارُ التناصح للمخالف -فيه- مطلوبٌ، ومواصلةُ البحثِ واجبةٌ؛ حتى نَصِلَ إلى الحقِّ الذي تلتقي عليه القلوبُ والعقولُ.

- أمَّا القضيّة الرابعة:

فلها طرفان:

- الأول:

بعضُ مسائلِ العلم -الأُخرى- الّتي صدرت عن الشيخِ أبي الحسن -على وجهٍ-، أو أُخِذَتْ عليهِ -على وجهٍ آخَرَ-:

فالقولُ فيها -جَزْمًا- لا يخرجُ عمّا قَبْلها من لُزوم التّحقُّق من مُرادِ القائل -أولاً-، وتحقيقِ النظر في الصواب والخطإِ -ثانيًا-؛ دون إلزامات غيرِ لازمةٍ -بدءًا وانتهاءً-.

- وأمّا الطرفُ الثاني:

فهو متعلّقٌ ببعضِ الألفاظِ أو العباراتِ -أو الأوصاف- التي تراشَقَ بها معظمُ أطرافِ الخلاف، واشترك بذكرها جُلُّ مَن دخل بها -غمزًا، ولمزًا-؛ كالحدّاديّة، والحزبيّة، والقطبيّة؛ ناهيك عن إخراج السّلفيِّ من سلفيّتِهِ -وما قدْ يلحقُ بذلك مِن أمثالِهِ-.

وإنْ كان لهذهِ التوجُّهات وجودٌ في بعض الواقع لا يُنكَر- ولكنْ: ليس في أطرافِ الخلافِ -ها هنا-؛ إلا أنَّ التّسرُّعَ في التغليط، والغُلُوَّ في التبديع: نَفَسٌ غريبٌ عن الدعوةِ السلفيّةِ، وسَمْتِها العالي . . .

فهذا -هكذا- لا يجوزُ ولا ينبغي.

والأصلُ في المسلمِ -طالبِ العلم- أن يتّقي اللهَ في نفسِه، وفي إخوانه، و«العدلُ في الغضب والرضا» -قولاً وعَمَلاً-: مِن «المنجيات» -كما صحّ عن رسول اللهِ -صلى الله عليه وسلم-.

ورسولُنا -عليه الصلاةُ والسلامُ- يقول: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسه من الخير».

فالواجبُ التوبةُ من كُلِّ ما يُخالفُ ذلك، والرجوعُ عنه؛ كلٌّ بحسب ما قال، وبقَدْرِ ما فَاهَ.

وحتّى نكونَ أعوانًا لإخواننا على الشيطان -لا أعوانًا للشيطان على إخواننا!- نُذكِّرُهم -وأنفُسَنا-جميعًا- بقولِ الخليفةِ الراشدِ عُمرَ بن الخطّاب -رضي الله عنه-فيما رواه البخاريُّ-:

(إن أُناسًا كانوا يُؤْخَذون بالوحي في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإنَّ الوحي قد انقطع، وإنما نأخذُكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم؛ فَمَن أظهر لنا خيرًا أمِنَّاه وقرّبناه، وليس إلينا في سريرته شيء، اللهُ يحاسبُ سريرتَه، وَمَن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه، ولم نُصدِّقْهُ، وإن قال: إن سريرته حسنة!).

نقولُ:

فَمَن استمرأ السوءَ -مُظهِرًا له، مستمرًّا عليه- لا يُقبَل منه -مع الإصرار!- ادِّعاءُ حُسن السريرة!!

ومَن رَجَعَ عن خطئِهِ -قولاً-، وتراجَعَ عن غَلَطِهِ -فِعْلاً-: فنحن قابلوه، ولنا ظاهرُهُ؛ ولا يجوزُ التشكيكُ برجوعِهِ؛ بَلْهَ إغلاقِ بابِ التوبةِ دونَه...

وادِّعاءُ حُسنِ السريرةِ -مع التراجع- مقبولٌ مَرْضِيٌّ...

وأمرُ صاحبِهِ موكولٌ إلى خالقه -وهو أولى به-: ﴿ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾، وهو وحده -سبحانه- الذي: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

ولْنتذكّر -جميعًا- أنّنا دُعاةٌ لمنهجِ السلف، وهو المَهْيَعُ الحقُّ الجليل -والحقُّ ثقيل، وأهلُه قليل-:

فلا ينبغي أن يكونَ فينا -فوقَ ثِقَلِ حَقِّنا- ثِقَلُ طريقتنا وأسلوبنا؛ حتّى نُنَفِّرَ منّا، أو يُنَفِّرَ عنّا -كما كان- شيخُنا الإمام الألبانيُّ -رحمه اللهُ-يكرّره على مسامِعنا-مُحَذِّرًا-كثيرًا-...

والحَتْمُ الواجبُ علينا -جميعًا- أنْ لا يكونَ مِنّا امتحانُ بَعْضِنا بعضًا بأشخاصٍ قد لا نتّفق -أحيانًا- في تَنْزيلِ الحُكم عليهم -أعيانًا-، مع اتِّفاقِنا في أُصولِ الحكمِ المنهجيِّ -في

الدعـوةِ- عـلى تصـوُّر واحـدٍ، مُؤتـلِفٍ غـيرِ مُختـلفٍ؛ بحيـث يُـؤدّي خِلافُـنا في غيرنـا إلى الاختلاف -فالتدابُر- فيما بيننا!!

وإنَّ فـتحَ هـذا البـابِ -هكـذا- سيُطيح بعـددٍ مـن العُـلماءِ الكبار، الذين سكت بعضُـهم -لبعض الاعتبارات- عن عددٍ من أهل الانحراف، أو قدّم بعضُهم لبعضٍ آخر -من أُولئك!-مُقَرِّظًا، ومُثْنِيًا-.

وعـلى ضـوء ذلـك؛ فـلا ينبغي -أَلبـتّةَ-أيضًـا- أن نتفـتَّتَ عـلى قِلّتنا، أو نتشتّت على ضـعفِنا؛ ثـم نـنظرَ: فـلا أحـدَ معـنا، ولا واحـدَ حولَنا؛ فضلاً عمّا يتبعُ ذلك -ولا بُدَّ- مِن شماتةِ الأعداء؛ الّتي استعاذَ منها رسول اللهِ -صلى الله عليه وسلم-.

نعـم؛ إذا انحـرفَ أَحَـدٌ -مـا-، مُكابـرًا الحـقَّ، مضادًّا أهلَه، مُناقِضًا دلائلَه -بعد الصبر، والمراجعة، والمناصحة، والمواصلة-؛ فلا يلومَنَّ إلا نفسه:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

ومع هذا وذاك:

فإذا رجع: رَجَعْنَا، وإنْ عادَ: عُدنا...

فمِن أجل هذا ندعو، ونَجِدُّ، ونُناضِلُ:

.. حتّى يتوبَ الضالُّ.

ويرجعَ الشاردُ..

ويؤوبَ الغويُّ..

سـواءٌ أكـان مـنّا، أم خارجًـا عنّا؛ فالحقُّ هو طِلْبَتُنا، وهدايةُ الخَلْق غايةٌ من أعلى غاياتنا؛ فلا حِزبيّةَ تجمعُنا، ولا إقليميّةَ تُفرِّقنا...

والواجـبُ عـلى السلفيّين -أجمعين-: «أن لا تأخُذَهم في الله لومةُ لائم، وأن لا يتحيَّزوا إلى فـئة معينـة، وأن ينصـروا اللهَ ورسولَه بكلّ قولِ حقٍّ قالَه مَن قاله، ولا يكونوا من الذين يقبـلون مـا قالتْه طائفتهم وفريقهم -كائناً ما كان- ويردّون ما قاله منازعوهم وغيرُ طائفتهم -كائناً ما كان-؛ فهذه طريقةُ أهل العصبيّة وحميَّةُ أهل الجاهلية.

ولعمرُ الله!! إنَّ صاحبَ هذه الطريقةِ لمضمونٌ له الذمُّ إنْ أخطأ، وغيرُ ممدوح إنْ أصاب!

وهذه حالٌ لا يَرضى بها مَن نصحَ نفسه وهُدي لرشده».

كما هو نصُّ كلامِ الإمام ابنِ القيِّم في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٧٧).

ورحم اللهُ شيخَ الإسلام ابن تيميّة -القائل-:

«أهل السنة: أعرف الناس بالحقّ، وأرحمهم بالخلق».

وخُلاصةُ القول -وصفوتُهُ-:

أنَّ فضيلةَ الشيخِ أبي الحسن المأربي -زاده الله من فضلِه- من خيرةِ إخواننا السلفيِّين، وطلبة العلمِ النَّابهين العامِلين -ولا نُزَكِّيه على ربِّ العالَمين-؛ وهو يُخطئ ويصيب، ويعلم ويجهل:

فما ظهر له من خَطَإٍ: فإنّه قد رجع عنه، وتراجع عنه -والحمدُ للهِ-.

أمَّا ظُلْمُهُ -بتحميل كلامِهِ ما لا يحتملُ-، واتِّهامُهُ بالابتداع والتحزُّبِ، وَرَمْيُهُ -تَجَنِّيًا- بالخُبْثِ والرفض -ونحوِها-: فكلماتٌ واجبٌ الاستغفارُ منها، ونبرأُ إلى اللهِ منها، وممَّا يُؤدّي إليها.

وهذا -كلُّه- لا يُنسينا أن نُذَكِّر أنفسَنا، والجميعَ -وبخاصّةٍ المنتقدين له، والمتعقِّبين إيّاه -غفر اللهُ لنا ولهم-: أن يكونوا عذّارين -لا عنّارين-، إخوةً مُتناصِحين، وأحِبّةً متآلفين.

... لا على حِسَاب المنهج، ولا تمييعًا لقواعد الدين؛ ولكن: بالَّتي هي أحسن، لِلَّتي هي أقومُ.

ولا يُنسينا ذلك -أيضًا- أنْ نُذَكِّر أنفسَنا، والجميعَ -وبخاصّةٍ الشيخَ أبا الحسن -غفر اللهُ لنا وله- بمزيدٍ مِن التدقيق، ومزيدٍ من التأنِّي والتَّوَقِّي، ومزيدٍ من التدبُّر؛ حتّى نُغلِقَ كُلَّ باب، وتنقطعَ دونَنا الأسباب.

وَممَّا يتوجَّبُ ذِكرُهُ، وَبيانُهُ -ختامًا- أمران:

الأوّل: أنَّ فضيلةَ الأستاذ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -نَفَعَ الله به- مِن فُضَلاءِ العُلَماء السلفيِّين؛ وهو أهلٌ لكلِّ برٍّ وخَيْرٍ -ولا نزكّيه على الله-.

وهو -حفظه الله- كأمثالِهِ من أهلِ العلمِ: بَشَرٌ كالبشرِ؛ يصيبُ ويُخطئ، ويَرُدُّ وَيُرَدُّ عليه -كما قال الإمام مالكٌ -بالحُسنى، إلى الحُسنى-.

الثاني: أنَّ الواجبَ على إخواننا -طلبةِ العلم في اليمن الميمون- مِن تلاميذ فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -دُرّة اليَمَنِ-رحمه الله- أن يواصلوا مسيرتَه المبرورةَ المباركة؛ وذلك بأن يتطاوعوا -فيما بينهم- ولا يختلفوا، ويتفقوا ولا يتفرّقوا، ويُيَسِّروا، ولا يُعَسِّروا؛ ليكونوا خيرَ خلفٍ لخير سَلَفٍ...

وربُّ العالَمينَ يشهدُ -في عالي سماه- أنّنا ما كتبنا هذا الّذي كتبناه -هنا- إلاّ طَلَبًا لرضاه -سبحانه-جَلَّ في عُلاه-؛ لا تملُّقًا لأحدٍ من الخَلْق، ولا رغبةً في أغراضٍ تخالفُ الحقّ؛ حِرْصًا على كلمة التوحيد؛ رَجَاءَ توحيد الكلمةِ..

... ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾.

وأخيرًا؛ فإنّنا نُكَرِّر -ونقول- ما صحّ عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

«اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ؛ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اِهْدِنَا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

وهو -سبحانه- بكل جميلٍ كفيل.

.. وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبه

إخوانكم

محمد بن موسى آل نصر

سليم بن عيد الهلالي

علي بن حسن الحلبي الأثري

مشهور بن حسن آل سلمان

٨/ ربيع الأول/ ١٤٢٢هـ

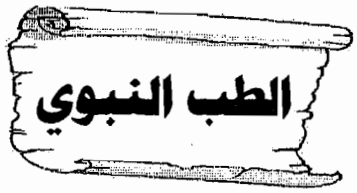

❖ الحلقة السابعة

قواعد في الطب النبوي

وصايا طبية نبوية نافعة

● بقلم: الشيخ محمد بن موسى آل نصر

حفظ الصحة بالعسل:

قال -تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾، وفي «الصحيحين» من حديث أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه، [وفي رواية: استطلق بطنه]، فقال: اسقه عسلاً، فذهب ثم رجع، فقال: قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً، وفي لفظ: فلم يزدهُ إلا استطلاقاً -مرتين أو أكثر-، كل ذلك يقول له: «اسقه عسلاً»، فقال له في الثالثة أو الرابعة: «صدق الله، وكذب بطن أخيك»[1].

ففي الحديث علاج نبوي ناجع لمن أصابه استطلاق في بطنه، عن تخمة أصابته عن امتلاء؛ «فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء،فإن العسل فيه جلاء، ودفع للفضول، وكان قد أصاب المعدة اختلاط لزوجة؛ تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجتها، فإن المعدة لها خَمَل كخمل القطيفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة،

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١١٩) في الطب: باب الدواء بالعسل، ومسلم (٢٢١٧).

أفسدتها، وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، والعسل جلاء، والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء لا سيما إن مزج بالماء الحار»[1].

وقال ابن القيم -يرحمه الله-: «وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار، وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه، لم يُزله بالكلية، وإن جاوزه، أوهى القُوى، فأحدث ضرراً آخر، فلما أمره أن يسقيَه العسل، سقاه مقداراً لا يفي بمقاومة الداءِ، ولا يبلُغ الغرضَ، فلما أخبره، علم أن الذي سقاه لا يبلُغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النبي ﷺ أكّد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشرباتُ بحسب مادة الداء، بَرَأ -بإذن الله-، واعتبار مقادير الأدوية، وكيفياتها، ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب.

وفي قوله ﷺ: «صدقَ اللهُ وكذب بطن أخيك»، إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وان بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه؛ ولكن لكذب البطن، وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة»[2].

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٥).

منافع العسل في الطب القديم:

قال ابن سينا: العسل طل خفي يقع على الزهور وعلى غيره، فيلقطه النحل وهو بخار يصعد، فينضج في الجو، فيستحيل ويغلظ في الليل، فيقع عسلاً، وقد يقع العسل كما هو بجبال قصران، ويختلف بحسب ما يقع عليه الشجر والحجر، وأكثر الظاهر من يلقطه الناس، والخفي يلقطه النحل، وأظن أن لتصرف النحل فيه تأثيراً[3]، وإنما يلتقطه النحل ليغتذي وليدخره.

ومن العسل جنس حرِّيف سُمِّي .... وأجود العسل: الصادق الحلاوة، الطيب الرائحة، المائل إلى الحرافة، وإلى الحمرة، المتين الذي ليس برقيق، اللزج الذي لا ينقطع، وأجوده الربيعي، ثم الصيفي، والشتائي رديء -فيما يقال-.

(٢) زاد المعاد (٤/ ٣٥).

(٣) يلتقط النحل رحيق الأزهار، وطلع الزهور، ويحولها في بطنه -بإذن الله تعالى- إلى عسل مختلف ألوانه فيه شفاء للناس؛ كما قال ربنا -جلّ جلاله-.

وعسل النحل حار يابس في الثانية، وعسل الطبرزد [السكر نبات] والقصب حار في الأولى ليس يابس، ويجوز أن يكون رطباً في الأولى.

الأفعال والخواص: قوته جالية مفتحة لأفواه العروق، محللة للرطوبات، تجذب الرطوبات من قعر اليدين، وتمنع العفن به والفساد من اللحوم.

والتلطخ به يمنع القمل والصيبان ويقتلها، ومع القسط لطوخ للكلف خاصة المزمن، وبالملح لآثار الضربة الباذنجانية.[1]

والعسل: ينقي القروح الوسخة الغائرة، والمطبوخ منه حتى يغلظ يلزق الجراحات الطرية ويخفيها، ويقوي السمع، وشم الحريف السميّ منه يذهب العقل، فكيف أكله؟!

والعسل: يجلو ظلمة البصر، والتحنك به، والتغرغر يبرئ الخوانيق وينفع اللوزتين، وإن شرب العسل سخناً بدهن ورد نفع من نهش الهوام، ومن شرب الأفيون، ولعقه علاج عضّة الكلب الكَلِب، وأكل الفطر القتال والمطبوخ منه نافع للسموم[2].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية:

«والعسل فيه منافع عظيمة، فإنّه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها، محلل للرطوبات أكلاً وطلاءً، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم ومن كان مزاجه بارداً رطباً، وهو مغذٍّ مليِّن للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين ولما استودع فيه، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة، منق للكبد والصدر، مدر للبول، موافق للسعال الكائن عن البلغم، وإذا شرب حاراً بدهن الورد نفع من نهش الهوام وشرب الأفيون، وإن شرب وحده ممزوجاً بماء نفع من عضّة الكلب الكلب وأكل الفطر القتال، وإذا جعل فيه اللحم الطري حفظ طراوته ثلاثة أشهر، وكذلك إن جعل فيه القثاء والخيار والقرع والباذنجان، ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر، ويحفظ جثث الموتى، ويُسمَّى الحافظُ الأمين، وإذا لطخ به البدن المقمل والشعر قتل قمله وصئبانه

(١) التي لونها يشبه لون الباذنجان.

(٢) «القانون» (١/ ٧٧٤-٧٧٦).

وطول الشعر وحسنه ونعمه، وإن اكتحل به جلا ظلمة البصر وإن استن به بيض الأسنان وصقلها وحفظ صحتها وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويدر الطمث، ولعقه على الريق يذهب البلغم ويغسل خمل المعدة ويدفع الفضلات عنها، ويسخنها تسخيناً معتدلاً، ويفتح سددها، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أقل ضرراً لسدد الكبد والطحال من كل حلو، وهو مع هذا كله مأمون الغائلة قليل المضار، مضر بالعرض للصفراويين ودفعها بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعاً له جداً، وهو غذاء مع الأغذية ودواء مع الأدوية وشراب مع الأشربة وحلو مع الحلوى وطلاء مع الأطلية ومفرح مع المفرحات، فما خلق لنا شيء في معناه أفضل منه ولا مثله ولا قريبا منه، ولم يكن معول القدماء إلا عليه، وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البتة ولا يعرفونه فإنه حديث العهد حدث قريباً، وكان النبي ﷺ يشربه بالماء على الريق وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل»[1].

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٣٣/ ٣٤).

العسل في الطب الحديث:

لقد حظي العسل في الطّب الحديث كما حظي من قبل في الطب القديم، واستفاد الإنسان من التقدم العلمي والتكنولوجي في تحليل العسل، ومعرفة مزاياه العلاجية، وقيمته الغذائية والعلاجية، وإليك أخي القارئ ما قيل فيه:

قال أحمد قدامة: «وفي الطب الحديث تبين من تحليل العسل أنه يحوي عناصر ثمينة كثيرة، أهمها: السكاكر التي اكتشف منها حتى الآن نحو ١٥ نوعاً -فقط-، والبروتين والمعادن (الحديد، النحاس، الكبريت، البوتاسيوم، والمنغنيز، الفوسفور، الكلور، الصوديوم، الكلسيوم، السليكيا، السيليكون، المغنيزيوم)، وفيتامينات (ب١، ب٢، ب٦، ج)، والخمائر والنتروجين، والحوامض، والزيوت الأثيرية، والمواد القطرانية.

وفيما يلي نزر قليل من أقوال كبار الأطباء في العالم -اليوم- عن فوائد العسل.

قال الطبيب الشهير الدكتور جارفس في كتابه: «طب الشعوب»: «إن التّجربة المحققة قد أثبتت أن البكتريا لا تعيش في العسل؛ لاحتوائه على مادة البوتاس، وهي تحرم البكتريا الرطوبة التي هي مادة حياتها،

ويقول: لقد وضع الدكتور (ساكيت) استاذ البكتريا في كلية الزراعة في (فورت كولتز) أنواعاً من جراثيم الأمراض في قوارير مملوءة بالعسل الصرف، فماتت جراثيم التفوئيد بعد ثمان وأربعين ساعة، وماتت جراثيم النزلات الصدرية في اليوم الرابع، وجراثيم الزنتارية بعد عشر ساعات، وجراثيم أخرى بعد خمس ساعات».

وأثبتت تجارب أجريت في (معهد باستور) بفرنسا: أن العسل معقم ومضاد للفساد، وإن أي جرثوم لا يستطيع أن يعيش فيه طويلاً؛ لأن درجة تركيزه تجذب الماء من أجسام الجراثيم فتبددها.

وتبين من أبحاث جرثومية أجراها أطباء وعلماء كبار في روسيا أنه لا يفسد ولا يتعفن إذا كان في وعاء مفتوح؛ لأن فيه مادة لا تمكن الجراثيم، أو الفطور التي يأتي بها الهواء أن تنمو في العسل، وأن العصيَّات التيفية لا تعيش فيه أكثر من ٤٨ ساعة، والزحارية تموت خلال ١٠ ساعات، وعصيات السل يوقف تكاثرها[1].

وذكروا من فوائده الشيء الكثير فمما قالوا:

وصف العسل -نتيجة أبحاث طويلة ودقيقة- بأنه ذو تأثير مدهش في بناء جسم الطفل إذا خلط بلبن المرضعة أو غيره، فهو يقوي الرضيع، ويساعده على النمو، ويطهر جسمه، ويسهل وظائف أعضائه، وثبتت فائدة العسل في معالجة الجروح المتقيحة، والتقرحات الجلدية، والتهاب الغدد العرقية، والعظم، والنقي والحروق، وعروق الإبط، وذلك بدهنها بالعسل، وعولجت الدمامل، والحميرة الخبيثة بدهنا بالعسل عدة مرات في اليوم بعد تشطيب المكان المصاب ليدخل العسل إلى مكان الداء.

ويوصف العسل اليوم كأحسن علاج لحفظ حيوية الجلد، ونضارة الوجه، وقوة الشعر وجماله ولمعانه.

ويفيد العسل -خاصة- المفكرين، والشيوخ الضعفاء، والأطفال الرضع، وفي مرض البلاغرا المتصف بخشونة الجلد، أو الاضطرابات الهضمية والعصبية، وهو يثبت الكلس في العظام، ويحمي من الكساح، ونخر الأسنان،

(١) «قاموس الغذاء» ص (٤٠٧-٤٠٨).

وتقوس الساقين، وينظم حركة التنفس، ويفيد المصابين بأمراض الصدر، ويلين ويلطف صعوبة البلع والسعال وجفاف الفم، ويقي من فقر الدم، وهو ينفع الكبد، والكليتين، والالتهابات في المعدة، والسل الرئوي، وضيق النفس، والنزلات الصدرية، ويفيد في الأمراض التي تصيب الكليتين مصحوبة بالصديد؛ كما يفيد في حالات سوء الهضم والقرحة في المعدة.

والعسل منوم، وقد تحدث الطبيب (جارفس) عن مزايا المادة السكرية في العسل فقال: «إنها لا تهيج قناة الهضم، وهي سريعة التمثيل، وتتحول سريعاً إلى طاقة بدنية، وهي مناسبة للمشتغلين بالألعاب الرياضية، وهي من بين أنواع السكريات أوفقها للكليتين، وهي مهدئة ملطفة، ومساعدة على الهضم، وتكلّم الأطباء عن (الشهد الملوكي) غذاء الملكات، وعزو إليه السر العجيب الذي يجعل الملكة تعيش ستة أعوام بينما النحل العادي لا يعيش أكثر من بضعة شهور . . وقد أعلن الأطباء عام ١٩٥٩م أن الشهد الملوكي يجب أن يعتبر غذاؤه ممتازاً مجدداً للحيوية، ولا شيء غير ذلك.

وهكذا يعالج اليوم بالغذاء «العجيب» الضعف، والشيخوخة، وتصلب الشرايين، والشعور بالتعب، والضعف، وفقر الدم[1]، وأمراض أخرى كثيرة مذكورة في كتب الطب القديم والحديث.

قلت: فالنحلة هذه المخلوقة العجيبة التي سمى الله باسمها سورة من القرآن، وأخبرنا عن عالمها، ومنهجها في الحياة، ونهى النبي ﷺ عن قتلها، وشبهها بالمؤمن، فهي تأخذ خيراً وتضع خيراً، وجعل الله في كل ما يخرج من بطنها شفاء: عسلها، شمعها، غذاؤها الملكي، عكبرها خبزها وهو «حبوب اللقاح»، وحتى إبرها فيها شفاء من الروماتزم، وغيره من الأمراض، فاستعمال العسل مفيد للوقاية من الأمراض قبل حصولها، بحفظ الصحة الموجودة، ودفع العلة المفقودة قبل هجومها، ونعم الله علينا لا تعد ولا تحصى.

فهل نحن من الشاكرين؟!!

(١) «قاموس الغذاء» ص (٤٠٨-٤١١).

النشاطات الدَّعوية والعلميَّة لـ«مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجيّة والأبحاث العلميّة»

١) ما بين الفترة (٣ محرم/ ١٤٢٣هـ) الموافق (١٧/ ٣ / ٢٠٠٢م) إلى (٧محرم/ ١٤٢٣هـ) الموافق (٢١/ ٣/ ٢٠٠م) عُقد في مدينة سورابايا بأندونيسيا مؤتمر بالتعاون ما بين معهد الإرشاد الدِّيني ومركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية بعنوان «منهج السلف الكرام، ومشاهير أئمته الأعلام»، وشارك فيه أصحاب الفضيلة المشايخ: محمد بن موسى آل نصر، وسليم بن عيد الهلالي، وعلي بن حسن الحلبي، ومشهور بن حسن آل سلمان.

وكان الحضور من طلاب العلم اللذين يتكلمون اللغة العربية يتراوح عددهم ما بين (٩٠٠-١٠٠٠).

٢) لبى الشيخان سليم بن عيد الهلالي، وعلي بن حسن الحلبي دعوة إخوانهم طلاب العلم السلفيين في دولة الكويت، وألقوا بعض المحاضرات في العقيدة والمنهج، والأخلاق، وعقدوا دورتين.

الأولى: شرح كتاب «أصول السنة» للإمام الحميدي: الشيخ سليم الهلالي.

الثانية: أصول التَّخريج ودراسة الأسانيد: الشيخ علي الحلبي.

٣) أقام «مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية» (دورة أسد السنة الهمام الإمام الألباني في العلوم الشرعية واللغوية) -المستوى الثالث- في الفترة ما بين (٢/ صَفر/ ١٤٢٣هـ، الموافق ١٥/ ٤/ ٢٠٠٢م إلى ١٧/ صَفر/ ١٤٢٢هـ -الموافق ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٢م).

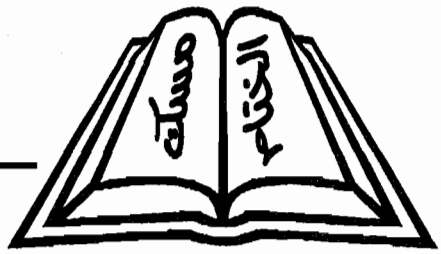

مَا هكذا يا سَعْدُ تُوْرَدُ الإبل!

● بقلم: أسرة التحرير

يظن كثير من دعاة الشَّغب، وإثارة الفتن -من الحزبيين والغوغائيين، والمتأثرين بالأساليب الغربية - أن نصرة فلسطين يمكن أن تكون بالمسيرات، والمظاهرات، والاحتجاجات، والإضرابات عن الأعمال، وما يصحبها من تعطيل للحياة العامة، وتكسير وتخريب ودمار يزعزع أمن هذا البلد أو ذاك، إما لتصفية حسابات قديمة، أو زيادة في رصيدها الانتخابي -المُقبل-! أو لتظهر بمظهر الوطنية، والحرص على مصلحة الأمة المصيرية.

وللحقِّ نقول:

هذه الوسائل والطرائق والأساليب ليست من الإسلام في شيء؛ ففيها دعوة للخروج والتمرد، وإسقاط هيبة الدّولة، وتهديد لأمنها، وفيها استهداف الشعوب لحكامها، ولرجال الأمن في تلك الدول، وكل ذلك خلاف منهج أهل السنة والجماعة في إنكار المنكر وتغييره.

فالأصل مناصحة السلاطين- وإن جاروا، وقصَّروا وظلموا-، والدعاء لهم، وإعانتهم على الشيطان، وليس إعانة الشياطين عليهم.

فنصرة شعب فلسطين، والقضية الفلسطينية لا تكون بهذه الأساليب الغوغائية؛ التي لا تحصد الأمة منها إلا شراً، وإن نصرة فلسطين وشعب فلسطين تكون بالعودة الصادقة إلى الله -تعالى-، ونبذ الحزبيات والإقليميات البغيضة المقيتة التي فرقت الأمة، ثم توحيد كلمة الأمة على كلمة التوحيد ومنهج الرسول ﷺ وأصحابه، عقيدةً، وأحكاماً، وأخلاقاً، وعلماً، وعملاً، وجهاداً، والإعداد المادي والمعنوي، وتعبئة الأمة تعبئة إيمانية جهاديةً واعيةً، وفق منهج الرسول ﷺ في الجهاد والتغيير.

إن الأحداث المؤلمة التي تشهدها فلسطين وشعبها، وما صاحَبَها من قتل وذبح، وهدم وتشريد وأسر، تقض مضجع كلّ مؤمن، وتدمي قلب كلّ مسلم، والمسؤولية كبيرة وعظيمة على الحكام قبل المحكومين؛ لكن ما هكذا تعالج الأزمة، ولا هكذا تُطْفَأُ الفتنة بالمسيرات والمظاهرات وإشعال الإطارات، وإحراق السيارات . . وكلها ممتلكات المسلمين الداعمين لشعب فلسطين بدمائهم وأموالهم؛ ولكن قاتل اللهُ الحزبيات والإقليميات المقيتة، فكم جلبت للأمة من دمار، وكم تسببت في حصاد لأرواح بريئة بحماساتها الهوجاء، وأفعالها الخرقاء، والله يقول: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، ويقول: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ولله درُّ القائل العاقل:

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتمل

ما هكذا يا سعد تورد الإبل

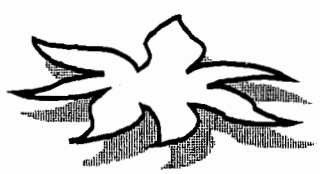

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

(قسيمة اشتراك)

الاسم: .....

الدولة: ..... المدينة:..... الحي: ..... الشارع:.....

رقم المنزل: ..... الهاتف:..... الفاكس: .....

العنوان البريدي: .....

.....

.....

ماذا يستفيد المشترك:

١ـ مجلة الأصالة. ٢ـ نشرات المركز العلمية. ٣ـ نشرات المركز السمعية.

٤ـ صحيفة «البينة» باللغة الإنجليزية. ٥ـ خصم ٢٠٪ من الدورات العلمية التي يعقدها المركز.

٦ـ خصم ١٠٪ لمن يشترك لأكثر من سنة.

ـ قيمة الاشتراك السنوي: (٦٠) دينار للأردن - (٢٠٠) دولار لدول الخليج - (٢٥٠) دولار لأوروبا - (٣٠٠) دولار لأمريكا.

ـ اقتراحات أخرى.

.....

.....

ـ رقم الحساب: (١١٢٥٩) البنك الإسلامي الأردني - فرع طارق.

(ترسل الاشتراكات بحولات بنكية مصدَّقة باسم: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي).

. يُرسل إشعار الحوالة إلى عنوان «مركز الإمام الألباني».